المكتبة القبطية على الانترنت

زيارة الموقع

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

يوئيل

١٩٨٣

كنيسة القديسين مرقس الرسول وبطرس خاتم الشهداء سيدى بشر
وكنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج

القمص تادرس يعقوب ملطى

يوئيل

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج
وكنيسة القديسين مرقس الرسول وبطرس خاتم الشهداء سيدي بشر

اسم الكتاب : يوليل .
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطي .
الطبعة : الاولى ١٩٨٢ .
الناشر : كنيسة القديسين مرقس الرسول وبطرس خاتم الشهداء سيدى بشر

ص.ب ١٨٢ السراى

البابا شنودة الثالث

H.H. Pope Shenouda III

يوئيل

مقدمة

● كلمة « يوئيل » فى العبرية تعنى « يهوه هو الله » . وهو اسم شائع فى الكتاب المقدس (١ صم ٨ : ٢ ؛ أى ٤ : ٣٥ ـ ٤٣ : ٥ ، ٤ ، ١٢ : ٦ : ٣٦ : ٧ : ٢ : ١١ ، ٢٨ : ١٥ : ٧ ، ٢٧ : ٢٠ : ٢ أى ٢٩ : ١٢ ؛ عز ١٠ : ٤٣ ؛ نح ١١ : ٩) ..

● لا نعرف شيئا عن هذا النبى سوى ما ورد عنه فى هذا السفر . قدمه لنا المدعو ابيفانيوس Pseudo Epiphanius فى كتابه « حياة الانبياء » على أنه من سبط رأوبين . ولد فى بيت هورن أو « بيت أور » التى تبعد حوالى عشر أميال شمال غربى أورشليم . وفيها قد دفن (١) . لكن غالبية الدارسين يرون يوئيل على أنه من سكان أورشليم . غالبا من سبط يهوذا . لذا جاء حديثه منصبا على أورشليم وسماع صوت أبواق الكهنة . واجتماع الكهنة مع الشعب للعبادة فى بيت الرب الخ .. الامر الذى يمثل خطا واضحا فى السفر كله .

تاريخ السفر

رأى الدارسون اليهود الأوائل أن يوئيل من أنبياء ما قبل السبى . وان كان الدارسون المتأخرون من اليهود يجدون صعوبة فى تحديد تاريخ النبى وبالتالى السفر نفسه (٢) .

يرى الأب ثيودورت والقديس جيروم أن يوئيل كان معاصرا لهوشع النبى فى أيامه المبكرة . أى قبل السبى . أما الدارسون المحدثون فقد اختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرا . فالبعض نسبة الى فترة ما قبل السبى . والبعض الى ما بعده ..

جمع Knabenbauer اراء القائلين بانه من أنبياء ما بعد السبى . والتى يمكن تلخيصها فى الآتى (٣) :

١ ـ يتحدث النبى عن الكهنة والشيوخ كأصحاب القيادة (١ : ٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢ : ١٧) دون الاشارة الى الملك كقائد أو حتى كمشترك مع الجماعة بكل فئاتها

فى التوبة . مما يدل على أن الحديث بعد السبى حيث جاء اسرائيل ويهوذا بلا ملك .

٢ ـ يوجه النبى حديثه الى يهوذا وأورشليم دون أى تلميح لوجود مملكة اسرائيل ..

٣ ـ لم يذكر النبى شيئا عن وجود مذبح خارج أورشليم فى السامرة عاصمة اسرائيل ، كما لم يشر الى العبادة الوثنية وطقوس البعل التى انتشرت فى اسرائيل ويهوذا قبل السبى وفى أثنائه .

٤ ـ دعوه الكهنة « خدام يهوه » . اسم عرف متأخرا بعد السبى .

يؤكد فريق من الدارسين أن يوئيل كتب حوالى عام ٤٠٠ ق . م بعد سقوط بابل (٥٣٩ ق . م) اذ لم يذكر اسمها ، وقبل قيام اسكندر الأكبر اذ لا يقدم اليونانيين كدولة قوية مقاومة وانما مجرد تاجرة للعبيد (٣ : ٣) ، وقبل خراب صيدون (٣ : ٤) ، وبعد بناء نحميا للسور عام ٤٤٥ ق . م (٢ : ٩) .

أما القائلون بأن يوئيل قد ظهر قبل السبى فيرون فى الدلائل السابقة وغيرها أنها واهية ، بل ولديهم دلائل على ما هو نقيض لها [٤] ، فمن ادلتهم :

١ ـ لم يشر النبى الى الملك ولا دعاه للتوبة مع الكهنة والشيوخ ، اما لأن الملك كان قاصرا (ملك يهواش ابن سبع سنين ٢ مل ١١ : ٢١) ، أو لأن الملك لا يتدخل فى الشئون الزراعية حيث أنصب غالبية السفر على حملات الجراد التى حولت البلاد الى قفر وجفاف ، أو لأن الدعوة الى التوبة هى دعوة قلبية داخلية فيريد النبى أن يربطهم بالعمل الروحى الطقسى دون الانشغال بالسياسة ..

٢ ـ عدم ذكر العبادة الوثنية وخاصة البعل لا يعنى أن النبى كتب بعد السبى ، فانه وان كانت الطقوس الخاصة بالبعل قد نزعت عنهم بواسطة المصلحين لكنه وجد أيضا بعد السبى انحراف اخر خلال المستعمر الجديد . لذا فتجاهل النبى هذا الانحراف انما لأنه يكتب فى اختصار وبتركيز مهتما بالجانب الايجابى وهو عبادة الله الحى بفكر روحى وطقس سليم ..

٣ ـ يؤكد كثير من الدارسين أن بعض الأنبياء مثل أشعياء وحزقيال وأرميا ، خاصة عاموس ، قد اقتبسوا بعض العبارات عن يوئيل وليس العكس ..

٤ ـ لو كان يوئيل قد جاء بعد السبى فلماذا لم يشر اليه خاصة وانه يتحدث عن قضاء الله على الامم وتأديبه لشعبه ؟! وقد أشار الى رد السبى ومحاكمة الأمم التى أذلته كأمر نبوى مستقبلى قادم (٣ : ٢ ، ٣) .

٥ ـ أشار النبى الى مصر كأمة معادية ومقاومة ليهوذا (٣ : ١٩) الأمر الذى

لا ينطبق على ما بعد السبى بل قبله . ومن الجانب الاخر لم يذكر فى محاكمة الأمم المقاومة السامريين وبنى امون وغيرهم ممن قاوموا بعد السبى بل ذكر الفيليقيين وفلسطين وادوم .. وهم أمم مقاومة قبل السبى ..

٦ ـ عدم اشارته الى وجود مملكة شمالية انما يتحدث عن اسرائيل كشعب واحد (٣ : ٢٧ ، ٣ : ٢ ، ١٦) . أولا لأن خدمة يوئيل كانت منصبة على مملكة يهوذا فلا مجال للحديث عن مملكة الشمال ؛ ومن ناحية أخرى فانه بروح النبوة يتطلع الى اسرائيل كاسم أصيل ليس فقط للشعب كله (المملكتان) وانما لكنيسة العهد الجديد كلها ..

هذا ويوجد فريق ثالث من الشراح يقسمون السفر الى قسمين : Kirkpatrick, Orelli, KOnig, Cameron.

الاول يضم الاصحاحين ١ ، ٢ حسب التقسيم العبرى (١ : ٢ ، ١ ـ ٢٧) مدعين أنه كتب قبل السبى ، والثانى يضم الاصحاحين ٣ ، ٤ (٢ : ٢٨ ـ ص ٣) كتب بعد السبى .

لكن غالبية الدارسين يجدون فى السفر وحدة واحدة فى الفكر والأسلوب ، لم يكتب فى عصرين مختلفين ولا وضعه الروح بشخصين ..

سماته

١ ـ اذ رأى يوئيل النبى الشاعر الرقيق ، المرهف الحس ، والمتفقد بالغيرة ، والثاقد البصيرة منظر غارات الجراد وقد حطمت يهوذا تماما ، صوتها مرعب ، ومنظرها قاتم ، ملأت الجو فاظلمت السماء واختفت الشمس وصار كل شىء كئيبا ، تحولت الحقول الى برية ليبسّ فيها ورقة خضراء ، وتسلل الجراد من الكوى الى كل حجرة .. وليس من منقذ ولا مخلص من هذا الجيش الخطير !!

رأى النبى يد الله الخفية وقد حركت هذه الجيوش لتحتل كل جرادة مكانا محددا لأجل التأديب وادانة الشر ، خلال هذه المشاعر كشف الله لنبيه منظر أمر وأقسى وهى غزوات الجيوش الغريبة التى يسمح لها الله بالهجوم على شعبه للتأديب ، فاذ لم يسمع الشعب بلغة الجراد والقحط يحدثهم بلغة الجيوش والقتل والسبى .. هذا اليوم هو يوم الرب القادم سريعا لادانة الشر ، فهو يوم قتام وظلام للأشرار .

لكن الله لا يترك شعبه بلا معين فيعلن بالنبى سكب روحه القدوس على كل

بشر . ليهيىء البشرية ليوم الرب الأخير .. يكون معينا لهم حتى يكون يوم الرب يوم ظلام للاشرار ويوم نور للابرار !!

هذا السفر انما يكشف خطة الله نحو البشرية .. يتحدث بكل لغة ، ولا يبخل عليهم بشيء بل يهبهم حتى روحه ليهيئهم ليوم لقائهم معه للسكنى معه والتمتع بأمجاده .

٢ ـ هذا السفر ـ كما يراه بعض الدارسين ـ هو سفر انسكاب الروح القدس على البشر .. فان كان هذا السفر هو سفر « يوم الرب » الذى فيه يدين الخطية والشر ، فهو يقدم الروح القدس الناري الذى « يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » يو ١٦ : ٨ ... لقد دان السيد الخطية فى الجسد ، فحمل عنا لعنتها ليهبنا حياته المجيدة فينا ، لذا أرسل لنا التى دفع الرب عنا أجرتها فنحيا بلادين ، واهبا ايانا بر المسيح يسوع ربنا ..

٣ ـ اذ رأى النبى منظر الجراد المرعب كنار احرقت كل ثمر الحقل ، تطلع الى الخطية ، وقد افسدت كرم الرب وتينته ، فصار شعب الله فى حالة جفاف شديد بلا ثمر ، فى فراغ ، وأيضا فى حالة كآبة بلا بهجة (١ : ١٢) .. لذا صارت الحاجة ملحة الى عمل الروح القدس الناري الذى يحل على البشرية فيردهم الى حالة الشبع بالله والبهجة به .. ان كانت نار الخطية قد أكلت الحقل (١ : ٢٠) . فان نار الروح القدس ترد القفر الى فردوس الهى ـ مثمر وميهج !!

٤ ـ انفرد يوئيل عن بقية الأنبياء بعدم تحديد تاريخ زمنى لنبوته ، فلم يذكر أسماء ملوك يهوذا أو اسرائيل المعاصرين له ، لان نبوته تركزت على « يوم الرب » القادم سريعا ، وكأن الوحى اراد أن يعلن أن هذه هى نبوة كل الأجيال ، لتترقب كل نسمة يوم الرب بكونه قريبا للغاية .. ولتتأهل له بالروح القدس الساكن فيها ، فتدين نفسها فلا تدان ، لتقبل تبكيت الروح هنا فتنعم بالمجد فى ذلك اليوم ..

٥ ـ ان كان الانبياء فى جملتهم قد تحدثوا عن تأديبات الله لشعبه حتى يرجع الشعب اليه فيجد ذراعى الرب مفتوحتين له وملكوته مقدما له خلال عمل المسيا الخلاصى ، وظهور ابن داود الملك الروحى الذى يضم كل الأمم الى حضن أبيه .. عالج كل نبى موضوع التوبة والرجوع الى الله من جانب معين ، فأشعياء وعاموس وميخا تحدثوا عن التوبة خلال ترك الظلم والجور ، وعزرا ونحميا خلال العمل المستمر فى بناء هيكل الرب وأسوار أورشليم ، وأرميا وحزقيال خلال اصلاح القلب الداخلى لا التوقف عند الاصلاح الظاهرى الشكلى ، أما نبى

الطقس الكنسي الحي غير المنفصل عن البنيان الروحي الداخلي . وكأنه فيما هو يتطلع الى أورشليم والهيكل والكهنة كان ينظر الى أورشليم الداخلية والهيكل الخفي والصرخات القلبية .. الطقس في عينيه ليس مجرد فروض تلتزم بها الجماعة وانما هو جزء لا يتجزأ من حياة الجماعة الروحية وبنيانها في الرب .. ليس مجرد فروض تلتزم بها الجماعة وانما هو جزء لا يتجزأ من حياة الجماعة الروحية وبنيانها في الرب ..

٦ ـ اتسم هذا السفر كالسفر السابق (هوشع) بالاهتمام بالتوبة بفكر جماعي . لكن دون تجاهل العلاقة الشخصية التي تربط المؤمن بعريسه . الأمر الذي تحدثت عنه بشيء من التفصيل في مقدمة سفر هوشع (د) . يظهر هذا الاتجاه هنا فان الرب يغار على ميراثه ويرق لشعب (٢ : ١٨ ، ٢٧) فيراني كعضو في كنيسته ليس منفردا ولا معتزلا بذاتي ..

كما اشترك الشعب في الشر معا ، يلتزم بالشركة في التوبة أيضا (٢ : ١٥ ـ ١٧) . كل يسند اخاه بكونه عضوا معه في الجسد الواحد ..

٧ ـ ان كان النبي قد اتسم بقومية صارخة بسبب الظروف المحيطة به . فيصور لنا المجتمع اليهودي كممثل لملكوت الله . لكنه اذ يتحدث عن عطية الروح القدس لا يقدر ان يقصرها على أمة معينة او شعب خاص . فهو عطية الله لكل بشر (٢ : ٢٨) .. انه يفتح أبواب الرجاء لكل من يدعو اسم الرب ليخلص (٢ : ٣٢) ..

٨ ـ من جهة الاسلوب . فان لغته العبرية فصيحة وبليغة . امتاز بسهولة الاسلوب وسلاسته مع وضوح المعنى ودقته . كتب أغلبه بأسلوب شعري رقيق . زينه بأنواع المجاز الدقيق ولغة تصويرية قوية النبرات ..

اقسام السفر :

١ ـ غارات الجراد « تمهيد ليوم الرب » ص ١ ـ
٢ ـ غارات الاعداء « تمهيد اخر له » ص ٢ : ١ ـ ٢٧ .
٣ ـ حلول الروح القدس « تهيئة ليوم الرب » ص ٢ : ٢٨ ـ ٣٢ .
٤ ـ يوم الرب العظيم ص ٣ .

يصف النبى غارات الجراد الاربع التى حدثت فى أيامه لا ككوارث طبيعية فحسب وانما كجزء من خطة الله لخلاصنا . اذ يسمح لنا بالتاديب لاجل رجوعنا اليه بالتوبة .

١ ـ غارات الجراد ١ ـ ٤ .
٢ ـ آثار الغارات ٥ ـ ١٢ .
٣ ـ دعوة للتوبة ١٣ ـ ١٤ .
٤ ـ الحاجة الى شفيع ١٥ ـ ٢٠ .

١ ـ غارات الجراد

افتتح النبى السفر بقوله : « قول الرب الذى صار الى يوئيل بن فثوئيل » ع ١ . فان كانت كلمة « فثوئيل » فى العبرية تعنى « فتح الله » . فانه قد أنجب « يوئيل » الذى يعنى « يهوه هو الله » . وكانه اذ يفتح الله بصيرتنا الداخلية يعلن ذاته لنا . أنه يهوه . أى « هو الكائن » . الله هو الكائن الذى بجواره يصير الكل كأنه غير كائن . ففى أول لقاء الله مع أول قائد للشعب . قال له : « هكذا تقول لبنى اسرائيل : يهوه اله ابائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم . هذا اسمى الى الأبد . وهذا ذكرى الى دور فدور » خر ٣ : ١٥ . وكما يقول فيلون اليهودى الاسكندرى معلقا على قول الله لموسى : « أخبرهم أولا أنى أنا هو الكائن حتى يعرفوا الفارق بين من هو كائن وما هو ليس بموجود (٦) » .

ليكن فى داخلنا فثوئيل . اى ليفتح الله بصيرتنا فندرك أسراره . فنتجه اليه ونوجد معه بكونه الكائن السرمدى . ولا نعطيه القفا لئلا نعود الى العدم . اذ يقول القديس أغسطينوس : « من يأخذ الاتجاه المضاد لله انما يسير الى العدم (٧) .

بعد هذه المقدمة المختصرة للغاية حدثهم عن غارات الجراد ، قائلا :

« اسمعوا هذا ايها الشيوخ .
واصغوا يا جميع سكان الارض .
هل حدث هذا فى ايامكم ، او فى ايام ابائكم ؟!
اخبروا بنيكم عنه ، وبنوكم بنيهم ، وبنوهم دورا ، جيلا آخر .
فضلة القمص اكلها الزحاف .
وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء .
وفضلة الغوغاء اكلها الطيار ع ٢ ـ ٤ .

ان كان النبى يطلب من الشيوخ أن يسمعوا لقول الرب ، فانه يسأل جميع سكان الأرض أن تصغى ، فان الله يود ان يتحدث مع كل البشر بلا محاباة !! ان كان الله يتحدث بلغة او أخرى فانه يطلب أن يلتقى مع كل انسان ليعلن معاملات حبة له ..

هذا ويطلب النبى منهم ان يخبروا بنيهم بالأمر ، اى بصوت الرب ومعاملاته ، لكى يقدموا خبرة حياة للجيل القادم ، وهكذا كل جيل يسلم غيره ما قد تسلمه ، هذا هو « التسليم » أو « التقليد » الذى هو فى جوهره « معاملات الله مع بنى البشر » ، لهذا يقول الرسول بولس : « ما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورايتموه فى فهذا افعلوا » فى ٤ : ٩ . ويقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص : « يكفينا للبرهنة على عبادتنا ذلك التقليد ، التسليم المنحدر الينا من الاباء بكونه الميراث الذى تناقلناه بالتتابع منذ الرسل خلال القديسين الذين تبعوهم (٨) .. فكل جيل ملتزم بتسليم الجيل الجديد انجيل الرب كسر حياة عملية خلال العقيدة السليمة والعبادة الحية والسلوك الروحى ..

أما بخصوص غارات الجراد المذكورة هنا فقد رأى غالبية الدارسين أن حملات حقيقية شاهدها النبى بينما ظن البعض انها مجرد تعبير رؤيوى يكشف عما يتحقق فيما بعد خاصة فى الأزمنة الأخيرة ..

القمص هو الجراد عندما يخرج من بيضه عاجزا عن الحركة ، والزحاف هو الجراد عندما يبدأ فى الحركة فيزحف او يمشى ، والغوغاء عندما ينبت له جناحان صغيران ، والطيار عندما ينطلق ليطير فى الجو ..

يرى كثير من علماء اليهود حتى ايام القديس جيروم ان هذه الغارات الاربع انما تشير الى اربع حملات قام بها سنحاريب ملك اشور ضد يهوذا

(اش ٣٦ : ١) . او الى اربع ممالك سادت اسرائيل ويهوذا وهى (أشور وبابل . مادى وفارس . المقدونيون . الرومان او (مصر . أشور . بابل . اليونان .. على اى الاحوال قيلت الكنيسة الاولى الفكر الرمزى لهذه الحملات دون انكار حدوثها

ويلاحظ فى هذه الحملات الاربع (القمص . الزحاف . الغوغاء . الطيار الاتى :

اولا : نحن نعلم أن رقم ٤ يشير الى العالم بجهاته الاربع (شرق وغرب وشمال وجنوب . والى الجسد المأخوذ من الارض أى من العالم . وكأن هذه الغارات انما تمثل حرب محبة العالم ضد المؤمن . وهجوم شهوات الجسد ضد الروح . فاذا يسقط الانسان تحت الخطية . يسمح الله له بالتاديب خلال خطيته . اذ تحمل الخطية فى ذاتها فسادها ومرارتها .. فالمؤمن الذى ينحرف نحو محبة العالم وشهوات الجسد . يسمح الله أن يتركه الى حين لهجمات محبة العالم وشهوات الجسد ليدرك المؤمن أن الخطية تحمل فيها فسادها . فيتادب بذات الخطأ الذى ارتكبه . هذا ما يؤكده لنا الله باستمرار . ان ما يحل بنا من تاديب انما هو ثمرة طبيعية لعمل ارتكبناه . فيقول (« اما صنعت هذا بنفسك ؟! » ار ٢ : ١٧ . « طريقك وأعمالك صنعت هذه لك . هذا شرك فانه مر . فانه قد بلغ قلبك » ار ٤ : ١٨ . فاذ يترك الانسان الله الحق ويرتبط بمحبة العالم الباطل وشهوات الجسدية الوقتية لا يتوقع الا أن يصير هو نفسه باطلا . يفقد كل ما هو حق وما

لقد أحب يهوذا العالم لا الله . شهوات الجسد لا الروح . لهذا صار ارضا بلا سماء وجسدا بلا روح ..

ومن محبة الله لنا اذ نقبل بارادتنا ان نصير أرضا لا سماء . يسمح لنا بكوارث زمنية أرضية عنيفة من براكين وزلازل وفيضانات وسيول وعواصف وأوبئة وقحط (غارات الجراد وخسائر مادية حتى تهتز أرضنا فنتركها هاربين الى الله الذى وحده يجدد أرضنا ويجعلها سماء له !!

ان كانت ارضنا . أى جسدنا . قد أثمر من ذاته شهوات جسدية يسمح الله فيرسل غارات جراد هو ثمر طبيعى لخطايانا يحطم ما ظننناه ثمرا مفرحا . فنهرب الى الله الذى وحده يقدر أن يقدسنا . يجردنا من اعمالنا الذاتية الشريرة لا ليحطمنا وانما ليحطم ما قد سكن فينا من شر واحتل مركز قلبنا . يطرد الشر ليملك هو فينا . واهبا ايانا بروحه القدوس ثمرا جديدا يليق بالانسان الجديد . لهذا فلا عجب ان بدأ السفر بغزوات الجراد ليعلن غزو الروح القدس لقلوبنا

(٢ : ٢٨ ـ ٣٢) . فاذ نفقد ثمر الانسان القديم وأعماله الميتة لنلبس بثمر الانسان الجديد على مستوى الهي فائق !!

اذن لتسبح يارب بتأديباتك لي مهما بلغت مرارتها . فانني اذ اتلمس خلالها مرارة خطاياي تتعلق نفسي بعمل روحك القدوس واهب الحياة الساكن في !!

لقد أوضح الله لسليمان الحكيم غاية التأديب بغارات الجراد . قائلا : « ان أمرت الجراد أن يأكل الأرض وان أرسلت وبأ على شعبي . فاذا شعبي الذي دعي اسمي عليهم صلوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فانني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبريء أرضهم » . أي ٧ : ١٣ ، ١٤ . انه يسمح بالجراد لا لهدمنا بل لهدم شرنا لطلب وجهه والتجاوب مع روحه القدوس الساكن فينا فننال غفران الخطايا . لكن للأسف كثيرا مايعاند الانسان نفسه كما فعل بنو اسرائيل اذ يونبخهم الله . قائلا : « كثيرا ما أكل القمص جناتكم وكرومكم وتينكم وزيتونكم فلم ترجعوا » عا ٤ : ٩ .

ثانيا : الله في تأديبه للانسان يبدأ بالسماح لغارة القمص الصغير أن تهاجمنا . فان لم نرجع اليه يسمح بالزحاف . وان لم نتب فالقوغاء ثم الطيار . واذ لانقبل تأديباته هذه كلها يسمح بغزو الأعداء .. وأخيرا يأتي يوم الرب ظلاما قاتما لمن لم يقبل كل أنواع التأديبات . انه يتدرج معنا في تأديباته حتى متى خضعنا له يترفق بنا .

ثالثا : لعل هذه المراحل من الجراد « القمص . الزحاف . القوغاء . الطيار » تشير الى حرب الخطيئة ضدنا وغزوها للقلب . تبدأ بالقمص الصغير جدا . الذي يتسلل الى القلب أو الفكر أو الحواس خفية كالثعالب الصغيرة المفسدة للكروم (نش ٢ : ١٥) . هذه التي يستهين بها الانسان فتملك وتفسد القلب . واذ يقوم القمص بدوره الخفي ينفتح الباب للزحاف حيث تزحف الينا خطايا أخرى . فتتلمذ خطية الى خطية . وتصبح العوبة في أيديهم . واذ يسحبنا الزحاف الى خطايا جديدة لم تكن نظن أننا نسقط فيها يتجرأ العدو علينا فتتسرب خطايا أبشع وأمر تمثل الخطايا في أبشع صورها أي الطيار . هذه التي تنطلق بنا الى أعماق الهاوية . هذه التي وصفها سفر الرؤيا ٩ ـ ١٢ أنها خارجه من بئر الهاوية . مفسدة لنور الشمس تلدغ كالعقرب وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري الى قتال . بمعنى اخر كل تهاون يسحبنا الى مرحلة أخطر حتى يستسلم الانسان لجراد الهاوية الملك . يقول يقول الاب مرقس الناسك : « يقدم لنا الشيطان خطايا صغيرة تبدو كأنها تافهة في اعيننا . لأنه بغير هذا لايقدر أن يقودنا الى الخطايا العظيمة (٩) » .

٢ . اثار الغارات :

« اصحوا أيها السكاري .

وابكوا وولولوا ياجميع شاربي الخمر .

على العصير . لانه انقطع عن افواهكم » ع ١ .

فى البداية سألهم أن يسمعوا ويصغوا . أما وقد حدثت غارات الجراد سألهم أن يصحوا ويتيقظوا عن سكرهم اذ شربوا خمر العالم الذى أفسد عقولهم وحطم حكمتهم الحقة . يليق بهم أن يفيقوا من السكر ليبكوا ويولولوا على ما وصلوا اليه من حرمان !!

«يوجد سكر روحي يصعب تجنبه واهتمامات بهذا العالم تصطادنا ونحن نعيش في حياة الوحدة . عن مثل هذا يقول النبي : « اصحوا أيها السكاري ، ولكن ليس بالخمر » . ويقول اخر : « قد سكروا وليس من الخمر ، ترنحوا وليس من المسكر » « اش ٢٩ : ٩ » في هذا السكر يستخدمون خمرا يسميه النبي « سم الأفعوان » .. أتريد أن تعرف شيئا عن ثمرة الكرم وبذار ذلك الغصن ؟ انه يقول : « عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة » . لانه مالم نتطهر من كل الاخطاء ونزهد تخمة كل الشهوات تثقل قلوبنا بسكر وخمر اشد خطرا ، من غير أن نتذكر بخمر أو تتخم بولائم (١٠) » .

لقد سكروا بخمر محبة العالم فحرموا انفسهم من الخمر الجديد الذي هو « الروح القدس » به تترنح النفس في محبة الله .. يدعوهم سكارى ، وفي نفس الوقت يطالبهم بالبكاء والنول والولولة على العصير لانه انقطع عن أفواههم . اذ حرموا انفسهم مما تتمتع به التلاميذ في يوم الخميس ! خمر الروح القدس . حيث وقف الرسول بطرس وقال : « لان هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون ، لانها الساعة الثالثة من النهار بل هذا ما قيل بيوئيل النبي : « يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة اني أسكب من روحي على كل البشر .. » أع ٢ : ١٥ ـ ١٧ .

ليبك اسرائيل القديم وليولول لانه قد انقطع عن فمه عصير الخمر السماوي الجديد برفضهم سكنى الروح فيهم . وليفرح اسرائيل الجديد ـ رجال العهد الجديد ـ وينهللوا اذ رفضوا خمر العالم أي أعمال الانسان القديم ليتمموا بخمر الروح المحيي !

اذ يطلب من السكري بخمر العالم أن يصحوا ويتعقلوا لان غارات الجراد قد حات بهم يكشف لهم عن فاعلية هذه الغارات من جوانب كثيرة ، بكونها فاضحة لعمل الخطية فينا :

اولا : يقول «اذ قد صعدت على أرضي أمة قوية بلا عدد ، أسنانها

أسنان الأسد ولها أضراس اللبوة » ع ٦ . ان كانت الجرادة في أي مرحلة من مراحل نموها لاتزيد عن كونها حشرة صغيرة يستطيع الانسان أن يسحقها بقدمه أو حتى بأصبعة لكن الجراد يجتمع معا كحملات قوية وخطيرة لا يمكن مقاومتها .

في عتاب يقول . « صعدت علي أرضه » . فان مايحل بنا بسبب خطايانا وان كان بسماح الهي لتأديبنا . لكنه يعتبر كل مايمسنا انما يمس الارض هو .. اذ نحن أرض الله التي أقامها ليسكن فيها البر (٢ بط ٢ : ١٣) . فما نرتكبه من خطايا يسيء الي الله !

أما سر قوة هذه الأمة التي بلا عدد فيكمن في فمها . اذ يقول : « أسنانها أسنان أسد ولها أضراس اللبوة » . فتحت الحية الغريبة فمها لتتحدث مع حواء . واذ تراخت الأخيرة هلكت هي ورجلها ونسلها أيضا . لنحذر اذن من كلمات ابليس المخادعة ولنهرب منها كما من أسنان الأسد وأضراس اللبوة . اذ يقول الحكيم عن حكمة الله « ليحفظك من المرأة الأجنبية من الغريبة الملقة بكلامها » أم ٧ : ٥ .

يليق بنا ألا نخدع بكلمات ابليس المعسولة لئلا تمزقنا . كما يليق بنا أن نحرص لئلا يستخدمنا عدو الخير فنصير نحن أنفسنا أسنانه التي كأسنان الأسد . يستخدمنا في تمزيق حياة الاخرين وايمانهم . فان كان عدو الخير ابليس يجول كأسد زائر ملتمسا من يبتلعه (ابط ٥ : ٨) فلا نكون نحن أداته في تمزيق اخواتنا .

من يسلم فمه لابليس يكون أشبه بالاسنان في فم الأسد المهلك . وكما يقول القديس يوحنا الدرجي : « فاه بطرس بكلمة فبكي بكاء مرا . ذلك لأنه لم يذكر القول القائل : « سأتيقظ في طرقي لئلا أخطيء بلساني » مز ٣٨ : ١ . ولا القول الآخر : « الزلة من السطح ولا الزلة من اللسان » ابن سيراخ ٢٠ : ٢٠ (١١) » .

ومن يسلم فمه للرب يصير أشبه بالأسنان في فم الأسد الخارج من سبط يهوذا . يحمل روح الغلبة والنصرة والحياة خلال الشهادة له . لايسرق حياة اخوته بل يمزق عمل ابليس المضاد للحق .

اذن كلنا أسنان اما في فم الأسد المقاوم للحق أو فم الأسد الحق . وكما يقول الحكيم : « من ثمر فم الانسان يشبع بطنه . من ثمرة شفتيه يشبع . والموت والحياة في يد اللسان » أم ١٨ : ٢٠ ، ٢١ .

ثانيا : « جعلت كرمتي ضربة وتيبنتي متهشمة » ع ٧ .

ان كان تهاوننا مع الخطيئة أفسد حياتنا ـ أرض الرب ـ فصارت ميدانا لغزو عدو الخير ، الأمة التي بلا عدد ، المفترسة كما بأسنان الأسد وأضراس اللبوة ، فان هذا قد حطم كرمة الرب تيبنته .

يدعو الرب شعبة الي كرمة وتيبنته . فالكرم يقدم العنب الذي يجتاز مع الرب المعصرة ليحمل سمة الامه ويدخل معه الى قوة قيامته ، والتيبنة بغلافها الحلو الذي يضم كميات كبيرة من البذور الرفيعة اشارة الى عمل الحب والوحدة للذي للروح القدس العذب الذي يضم الأعضاء معا بلا انعزالية ولا فردية (١٢ : ٠٠ فالخطيئة تفقد الكرمة والتيبنة سمتهما ، أي تحطم عمل المسيح المصلوب والروح القدس فينا . الخطيئة تحطم كرم الرب وتهشم تيبنته . فلا يقبل المؤمنون المعصرة بفرح لتقديم خمر جديد في ملكوت الاب ، ولا السلوك بروح الحب والوحدة الذي هو عمل الروح القدس .

الله يفرح بشعبه كالكرمة وسط البرية أو كتيبنة بكر تشبع قلبه (هو ٩ : ١٠) . لكن الخطيئة تفسد هذه الكرمة وتهشم هذه التيبنة . وكما جاء في سفر حبقوق : « لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم » حب ٣ : ١٧ .

ثالثا : قد قشرتها وطرحتها فابيضت قضبانها « ع ٧ .

امتد عمل الجراد الى قشرة الساق والفروع . فقد قشرتها وصيرت قضبانها بيضاء . ياللعجب فان البياض وهو يشير الى النقاوة والطهارة . ففي التجلي ظهر السيد المسيح بثيابة البيضاء كالنور (مت ١٧ : ٢) اذ حملت في داخلها شمس البر الذي يشع ببهائه فيها . وعند القبر المقدس رات القديسة مريم المجدلية « ملاكين بثياب بيض » يو ٢٠ : ١٢ . فان العدو وهو يحاول الخداع يستخدم اللون الابيض فيظهر في حالة الابرص علامة النجاسة (لا ١٣ : ١٠ ، ١١)

فمادام لنا المسيح شمس البر ملجأ لنا فيه نختفي وهو يسكن فينا نحمل بياضة كالنور . ولكن ان نزعنا عنه برفضنا اياه نصير قضبانا بلا قشرة تحميه .. لها بياض البرص النجس . بياض المسيح يرفعنا الى السماء حيث السماوي سر بياضنا قائم . اما بياض البرص فيدفع صاحبة الى خارج المحلة ليعيش منعزلا . يشق ثيابه ويكون رأسه مكشوفا ويغطي شاربيه وينادي نجس نجس (لا ١٣ : ٤٥ ، ٣٦ .

رابعا : الدخول الى حالة ترمل مبكر ، اذ يقول : «نوحي يا ارضي كعروس مؤتزرة بمسح من اجل بعمل صباها » ع ٨ .

ان كان الانسان عند ارتكابه للخطيئة يظن أن يشبع نفسه المحرومة ويروي

جسده بالملذات اذا به في الحقيقة يدخل بها الى حالة ترمل .

ان كان الانسان عند ارتكابه للخطيئة يظن أن يشبع نفسه المحرومة ويروي جسده بالملذات اذا به في الحقيقة يدخل بها الى حالة ترمل . فتأتزر بالمسوح بغير ارادتها . لأنها فقدت عريسها الأول « الله » الذي ارتبطت به منذ صباها . عوض ثوب العرس المفرح لها وللسمائيين . صار لها مسوح الترمل المحزنة .

على أي الاحوال يبقى عريسها الأول . عريس صباها . يتملقها ويذهب بها الى البرية ويلاطفها (هو ٢ : ١٤) . لينزع عنها ثوب ترملها القاتم . قائلا لها : « وأخطبك لنفسي الى الأبد » هو ٢ : ١٩ . لكنه لايخطبها وهي في حضن الرجل الاخر انما يؤكد لها : « أخطبك لنفسي بالعدل والحق والاحسان والمراحم . اخطبك لنفسي بلامانة فتعرفين الرب » هو ٢ : ١٩ ، ٢٠ .

خامسا : انقطاع التقدمة والسكيب . اذ يقول : « انقطعت التقدمه والسكيب عن بيت الرب . ناحت الكهنة خدام الرب » ع ٩ .

تكشف غارات التاديب الالهي عما وصلت اليه النفس بسبب الخطية . فانها اذ صارت مترملة . فقدت اتحادها بالعريس السماوي . ولم يعد يقدر الكهنة أن يقدموا تقدمة أو يسكبوا سكيبا للرب . اذ لايقبل تقدمه الأشرار ولاسكيب من اعطوه القفا لا الوجه .

قبول التقدمه والسكيب في بيت الرب علامة الاتحاد بين الله وشعبه المقدس ورضى الله عليه . أما وقد سقط الشعب في الرجاسات فلا قبول لتقدماته بدون التوبة والرجوع اليه . لهذا يقول المرتل : « لأنك لاتسر بذبيحة والا فكنت أقدمها . بمحرقة لاترضى . ذبائح الله هي روح منكسرة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لاتحتقره » مز ٥١ : ١٦ ، ١٧ .

في دراستنا لرسالة معلمنا بولس الرسول الثانية الى تيموثاوس رأينا أن السكيب يشير الى حياة الفرح المستمر الذي يسكبه الروح القدس بغنى وسط الام الكنيسة بكونها ذبيحة الله المتحدة مع المسيح الذبيح (١٣) . وكأن انقطاع السكيب هو انتزاع للفرح الروحي الدائم عن الشعب لتحل الكآبة عوضا عنه .. هذا هو ثمر الخطيئة الطبيعي .

نحن في حاجة أن يتقبل الله التقدمه والسكيب .. فنحمل سمة المسيح المصلوب (التقدمه وسمه الفرح الروحي (السكيب) . ان رجعنا بالتوبة اليه .

سادسا : تلف الثمار : « تلف الحقل . ناحت الارض . لانه قد تلف القمح . جف المسطار . ذبل الزيت . خجل الفلاحون . ولول الكرامون

على الحنطة وعلى الشعير ، لانه قد تلف حصيد الحقل . الجفنة يبست ، والتينة ذبلت . الرمانة والنخلة والتفاحة كل اشجار الحقل يبست . انه قد يبست البهجة من بني البشر » ع ١٠ ـ ١٢ .

ان كانت قد خدبت الخطية كرم الرب وهشمت تينته ، فانها تفقد كل ثمر روحي في حياة المؤمن الذي هو حقل الرب .

ا . يتلف القمح ويجف المسطار (الخمر الجديد ويذبل الزيت : ان كان القمح يشير الى الخبز اليومي الضروري فالمسطار يشير الى الشراب الروحي المفرح بينما يشير الزيت الى الدواء . هكذا جراد الخطية يفقد الانسان طعامه الروحي وشرابه ودواءه . ليعيش في حالة جوع وعطش ومرض ، ليس من يشبعه ولا من يرويه أو يضمد جراحاته .

الله لا يبخل على الانسان بشيء . لكن الانسان في جهلة يستخدم ماله لحساب عدوه . اذ يعاتبه الله عروسه ، قائلا لها : « وهي لم تعرف اني انا أعطيتها القمح والمسطار والزيت وكثرت لها فضة وذهبا جعلوه لبعل لبعل » هو ٢ : ٨ . « وخبزي الذي أعطيتك السميذ والزيت والعسل الذي أطعمتك وضعتها أمامها (أمام صور ذكور تزنى معها رائحة بخور سرور » حز ١٦ : ١٩ .

ليتنا خلال تأديبات الله ندرك مابلغ اليه حالنا الداخلي فنجوع ونعطش الى البر (مت ٥ : ٦ ، ليتقدم السيد المسيح نفسه كخبز سماوي لنا (يو ٦ : ٥١) ، ومشربا روحيا ، وطبيبا لنفوسنا .

ب . يخجل الفلاحون ويولول الكرامون اذ يأتي رب الحصاد فيجد حقله بلا حنطة ولاشعير . يجد رعاته وكهنته لا يقدمون طعام الأغنياء (الحنطة أو حتى طعام الفقراء (الشعير) .

ان كانت الحنطة تستخدم كطعام للانسان والشعير كطعام للحيوان ، فان الحنطة تفسد كل شيء فلا يشبع الانسان (النفس الانسانية ، ولا حتى الجسد (الحيوان) .. فيعيش الانسان في حالة فراغ وجوع روحيا ونفسانيا وجسديا أيضا .

ج . لا يوجد في النفس ـ الحقل الالهي ـ ثمرا سواء كان رمانا أو نخيلا أو تفاحا . الرمان يشير الى وداعة المسيح التي تنعكس على وجه الكنيسة عروسة فيناجيها الرب : « خدك كفلقة رمانة تحت نقابك » نش ٤ : ٣ . اذ يكون لوجهها وداعته الحقة . والنخلة تشير الى حياة الاستقامة التي بلا انحراف ، كقول العريس لعروسه الحاملة لطبيعة عريسه المستقيمة : « قامتك هذه شبيهة بالنخلة » نش ٧ : ٧ . والتفاح يشير الى التجسد الحامل للثمر المفرح لدى الآب

والناس حيث تقول العروس لعريسها المتأنس : « كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين ، تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي » نش ٢ : ٣ هكذا بالروح القدس اذ نتحد بشجرة التفاح الفريدة بين أشجار الوعر غير المثمر نصيرنحن أنفسنا تفاحا يفرح قلب الله والناس ، لها رائحة مسيحنا .. « رائحة أنفك كالتفاح » نش ٧ : ٨ .

بمعنى اخر اتعدام الرمان والنخيل والتفاح انما يعني انتزاع سمة المسيح واستقامته ورائحته عن النفس البشرية !

د . ان كانت الخطية تفقد الانسان طعامه الروحي (الحنطة) وشرابه (السطار ، ودواءه (الزيت) .

د . ان كانت الخطية تفقد الأنسان طعامه الروحي (الحنطة . وشرابه (السطار ، ودواءه (الزيت) ، تجعله بلا ثمر للنفس والجسد (حنطة أو شعير) ، وتحرمه من ملامح السيد واستقامته ورائحته الذكية .. فان هذا كله انما يحرم الانسان بهجته الروحية وفرصة الداخلي ، اذ يقول : « انه قد يبست البهجة من بني البشر » ع ١٢ .

كثيرون يظنون في الحياة المدللة الشريرة فرحا وبهجة ، وفي الحياة مع الله حزنا وكآبة .. لكن الحقيقة غير هذه فان الحياة المدللة تحمل مرارة داخلية وكآبة وسط ترفها وضحكها ، أما الحياة مع الله فتقدم فرحا روحيا عميقا وسط الآلام والضيقات ، الخطية تفقد الانسان فرحه الروحي ، والتوبة تهب فرحا وسط الدموع ، وسلاما داخليا رغم الطريق الكرب والباب الضيق ، لهذا كتب القديس يوحنا الدرجي مقالا كاملا عن « النوح الحامل الفرح (١٤) » ، جاء فيه : « تمسك كل التمسك بالتوجع المفرح الملازم لنفس القلب ، ولاتكف عنه ، حتى يرفعك عن الأرضيات ، ويقدمك نقيا الى المسيح » ، « من تسربل النوح المغبوط المنعم به عليه كحلة عرس ، عرف ضحك النفس الروحاني » ، « الدموع الناتجة عن ذكر الموت تولد الخوف ، اذا ولد الخوف الاطمئنان أشرق الفرح ، واذا هدأ هذا الفرح واستمر ثابتا أينعت زهرة الحب المقدس (١٥) » .

٢ . دعوة للتوبة

كشف الله خلال تأديباته عن ثمر الخطية المر في حياة شعبه :

- هاجمت أرضه أمة قوية بلا عدد أسنانها كأسنان الأسد (٦٤) .
- صارت كرمته ضربة وتينته متهشمة (ع ٧ .
- فقدت الساق والأغصان قشرتها وصارت بيضاء بلا حماية (ع ٧ .
- دخلت عروسه الى حالة ترمل مبكر (ع ٨ .

- انقطعت التقدمه والكيب علامة رضى الله وفرحه ببيته (ع ٩) .
- فقدت الطعام والشراب والدواء (١٠) .
- فقدت سمات الرب واستقامته ورائحته الذكية (ع ١٢) .
- خسرت البهجة الروحية (ع ١٢) .

والان يسرع الرب الى تحويل الدموع والحزن الى التوبة . هذه التي يلزم أن يمارسها الكهنة مع الشعب . اذ يقول : « تنطقوا ونوحوا ايها الكهنة . ولولوا ياخدام المذبح . ادخلوا بيتوا بالمسوح ياخدام الهي . لانه قد امتنع عن بيت الهكم التقدمه والكيب .. » ع ١٣ . يوجه حديثه الي الكهنة خدام المذبح ليقوموا بدروهم القيادي لابالنصح والارشاد وانما اولا بممارسة التوبة العملية . ليكونوا مع الشعب غير منعزلين عنهم . وقد ابرز علاقات التوبة وملامحها في النقاط التالية :

اولا : التنطق (ع ١٣) او لبس المسوح . انه ليس وقت للبس الملابس الكهنوتيه الثمينة والبهية انما هو وقت للتمنطق بالمسوح حتي يرق الله لشعبه ويتراءف علي أولاده الساقطين . يلزم للبس المسوح أن يلازمه التذلل الداخلي والانسحاق بالروح أمام الله . يقول القديس يوحنا الدرجي : « ليكن لك زيك علي الأقل داعيا الي النوح لأن جميع الذين يندبون موتاهم يرتدون السواد (١٦) » .

ثانيا : النوح والولولة (ع ١٣) . فيليق بالكاهن الا يطلب دموع اخوته وأولاده الروحيين وهو جاف في مشاعره . انما يمارس مايطلبه منهم قائلا مع النبي : « من أجل سحق بنت شعبي انسحقت . حزنت . أخذتني دهشة .. ياليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهارا وليلا قتلي بنت شعبي » ار ٨ : ٢١ ، ٩ : ١ .

يحدثنا القديس يوحنا الدرجي عن فاعليه النوح والدموع قائلا : « كما تبيد النار القصب تبيد الدمعة الطاهرة كل دنس جسدي وروحي » . لا يحتاج لله يا أحبه ولا يريد أن يبكي انسان ويتوجع . بل يشاء بالاحري ان يبتهج بحبه ويتهلل . أزل ياهذا الخطيئة فتصير الدمعة الموجعة في الاعين الحسية فضلة زائدة . لانه لاحاجة الى تنظيف حيث لا يوجد جرح . لم يكن لادام دموع قبل المعصية . ولن تكون دموع بعد القيامة . حيث تكون الخطيئة قدابيدت وزال معها الوجع والغم والتنهد (١٧) » .

ثالثا : تقديس صوم لهذا الغرض : فالتوبة تمس كل حياة الانسان خاصة الكاهن تنهدات قلبه . صراخ فمه . ملابسه وأيضا بطنه . وكأن الانسان يتحدث

مع الله معلنا توبته بكل وسيلة . فتتساند تصرفاته معا للاعلان عن شوقه الى الرجوع الى الله .

الصوم هو لغة الأحشاء متفاعلة مع الروح والفكر والأحاسيس لتعلن الرغبة في اللقاء مع الله خلال الحياة المقدسة فيه .

يقول القديس يوحنا الدرجي : « ان عقل الصوم يصلي بأفكار طاهرة . أما عقل الشره فيمتلىء صورا بغيضة » . « ان اتخام المعدة يجفف ينابيع الدموع . أما اذا جفت المعدة بالامساك فتتبع تلك المياه » . « اذا ضيقنا على معدتنا تذلل قلبنا . واذا لذذناها تعجرف فكرنا (١٨) » .

ويقول الأب مار اسحق السرياني : « قال أحد القديسين : اذ يضعف الجسد بالصوم والامانه تتقوي النفس روحيا بالصلاة (١٩) » .

رابعا : المناداه باعتكاف . اذ يقول للكهنة « نادوا باعتكاف . اجمعوا الشيوخ جميع سكان الارض الى بيت الرب الهكم وصرخوا الى الرب » ع ١٢ - ١٤ . هكذا يعلن النبي الالتزام بالمناداه باعتكاف اي احتفال جماعي للتوبة . فكما اشتركت الجماعة معا في الشر . هكذا تشترك في التوبة . وقد تحدثنا في مقدمة سفر هوشع عن التوبة الجماعية التي تتضافر مع الحياة الروحية الشخصية والعلاقة الخفية بين النفس والله تكون النفس عضوا في الجماعة المقدسة .

ان كان الكاهن يمثل العمل القيادي في الانسان فانه يليق بهذه القيادة ان تنادي بالاعتكاف وتجمع الشيوخ جميع سكان الأرض . أي يجمع الانسان كل احاسيسه وطاقاته وقدراته وكأنها شيوخ الأرض اي العاملون في الجسد . لكي يقدم الانسان توبته نابعة عن كل تصرفاته وامكانياته الروحية والنفسية والجسدية . ليجتمع الكهنة مع سكان الأرض في بيت الرب . أي لتعمل الروح بطاقتها مع الجسد بطاقاته تحت قيادة الرب .. وليصرخ الانسان بكليته الى الله .

ليتم الاعتكاف في بيت الرب الهنا . فنهرب من غضب الله باللجوء اليه . فنحتمي في محبته الحانية وطول أناته . وكما جاء في سفر أشعياء : « يتمسك بحصني فيصنع صلحا معي . صلحا يصنع معي » أش ٢٧ : ٥ .

٤ - الحاجة الى شفيع

اذ يجتمع الكهنة مع الشيوخ في بيت الرب ينوح الكل يتوح الكل مولولين لادراكهم ماقد فعلته الخطية فيهم . مترقبين ذاك الذي وحده يقدر أن يشفع فيهم فينقذهم من الغضب الالهي في ذلك اليوم الرهيب . لقد أبرز النبي هذين

الأمرين المتكاملين ، ادراك ما وصلنا اليه من مرارة ورعب قبالة يوم الرب ، الحاجة الى شفيع قادر على مصالحتنا مع الله .

فمن جهة إدراك ما وصلنا إليه يقول : « آه على اليوم لأن يوم الرب قريب ، يأتي كخراب من القادر على كل شيء . أما انقطع الطعام تجاه عيوننا ؟ ! الفرح والابتهاج عن بيت الهنا ! عفنت الحبوب تحت مدرها ، خلت الأهراء ، انهدمت المخازن لأنه قد يبس القمح . كم تئن البهائم ؟ ! هامت قطعان البقر لأن ليس لها مرعى حتى قطعان الغنم تغنى » (ع ١٥ ــ ١٨) .

في اختصار صرنا في حالة جوع اذ انقطع الطعام تجاه عيوننا . فانه لن تشبع باخر غير الله نفسه الذي خلقت على صورته ومثاله . لعله لهذا السبب ولد المسيح المسيح . كلمة الله المتجسد . في مزود حتى اذ صار الانسان كحيوان جائع يسيل الي المزود فيقتني طعاما جديدا قادرا ان يشبعه أبديا . يسمعه يقول : « أنا هو خبز الحياة .. انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ان أكل أحد من هذا الخبز سيحيا الي الابد . والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم .. الحق الحق أقول لكم أن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » يو ٦ : ٤٨ ــ ٥٣ .

انقطع الطعام وزال الفرح والابتهاج فصارت النفس في حالة كآبة بل صارت في موت لاتستطيع القول « اني ابتهج بالرب وأفرح باله خلاصي » حب ٣ : ١٨ ... لأنها عزلت نفسها بنفسها عن الله مصدر بهجتها ..

صارت النفس في حالة خراب بلا ثمر روحي . فعفنت الحبوب تحت مدرها وانهدمت المخازن وصارت بلا رجاء .. حتى البهائم (الجسد تئن . قطعان الغنم تغني . بالخطيئة يفتد الانسان حتي الأمور الجسدية التي من أجلها ارتكبها !

بمعني أخر نقول انه بالخطيئة حلت اللعنة على كل شيء حتى على الأرض كقول الرب لادم : « ملعونة الارض بسببك » تك ٣ : ١٧ ... فلم يعد للبركة موضوع .

الآن بعد ادراك ماوصلنا اليه من لعنة حلت بنا وبالأرض ونباتاتها وحيواناتها

تدخل يوئيل كشفيع . أو بمعني أدق كرمز للشفيع الحقيقي يسوع المسيح . الذي وحده يصرخ الي أبيه فيستجيب له . يقول « اليك يارب أصرخ .. » . انه لايصرخ عن نفسه وانما عن الشعب . عن المراعي التي أحرقتها النار . وعن جداول المياه التي جفت (ع ١٩ ، ٢٠) .

هذا هو الشفيع الذي يسكن القلب « اورشليم الداخلية » فيقيم مصالحه للنفس والجسد بكل طاقاتها مع الآب . هذا الذي يفرح به الآب ويطلبه قائلا : « طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا وأعرفوا وفتشوا في ساحاتها ، هل تجدون انسانا ، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها » أر ٥ : ١ . أنه ربنا يسوع المسيح المختبيء في أورشليمنا الداخلية الذي به ننال الصفح عن خطايانا .

اذ لم يستجب يهوذا للانذار الالهى خلال غارات الجراد حدثه بصوت أكثر مرارة الا وهو غارات الاعداء . ولكن فيما هو يجرح يقدم له روحه القدوس ليهيه امكانية التضميد بالتبكيت على خطاياه والعودة اليه .

١ ـ الخراب المدمر ١ ـ ١١ .
٢ ـ دعوة للتوبة ١٢ ـ ١٧ .
٣ ـ الله يرق لشعبه ١٨ ـ ٢٧ .
٤ ـ الاصلاح الجذرى بالروح القدس ٢٨ ـ ٣٢ .

●●●

١ ـ الخراب المدمر

لم يستفد الشعب من غارات الجراد ، اذ قيل بعاموس النبى : « ضربتكم باللفح واليرقان . كثيرا ما أكل القمص جناتكم وكرومكم وتينكم فلم ترجعوا الى يقول الرب » عا ٤ : ٩ ، لذا بدا يحدثهم عن تاديب اخر هو غارات الاعداء المدمرة ، اذ يقول :

« اضربوا بالبوق فى صهيون ،
صوتوا فى جبل قدسى ،
ليرتعد جميع سكان الارض ،
لان يوم الرب قادم لانه قريب » ع ١.

اولا : ضرب البوق فى صهيون : كان الضرب بالابواق من صميم عمل الكهنة ، تضرب عندما يتحرك الموكب « فى البرية » وعند الاعلان عن حرب ، وفى مسح الملك ، وعند الاحتفال بالاعياد الخ .. وكان البوق فضيا (لا ١٠ يشير الى الوصية الالهية أو الكلمة الالهية ، التى تعمل فى النفس أثناء جهادها وحربها ضد الخطية وتملاها فرحا وبهجة مع كل عمل الهى داخلى .

يأمر الله بضرب البوق فى صهيون ليس لان امة معينة تهاجم صهيون وانما لان يوم الرب قادم فترتعد جميع سكان الارض ... انه يوم قريب !!

لعله اراد بضرب البوق فى صهيون فى الجبل المقدس ليعلن ان الله هو الذى يسمح بهياج الاعداء على شعبه لتأديبهم ، فاذا لم يسمعوا لصوته خلال الوصية يقدم اليهم بالرعب خلال اعدائهم ، مستخدما اياهم لتحقيق خلاصهم من الشر ، لم يسمعوا بوداعته فلينتظروا حزمه !

لنسمع صوت البوق ، انذارات الله ، من فم الكهنة ، ولنقبل الوصية الالهية وان كانت مرة بالنسبة للاشرار لانها تحطم الشر الذى يحبونه ، اذا « يرتعد جميع سكان الارض » اى يهتز فى الشرير كل ما هو ارضى امام الوصية الالهية ، وتتزلزل كل معصية وتعدى فى داخله امامها ، وكما قيل : « هل يضرب بالبوق فى مدينة والشعب لا يرتعد ؟! » عا ٣ : ٦ .

ان كان ضرب البوق يشير الى قدوم الكلمة الالهى الى النفس ، فان هذا يتبعه حتما تحطيم كل وثن داخلى إحتل القلب زمانا ، وكما يقول اشعياء النبى : « هوذا الرب راكب على سحابة خفيفة سريعة وقادم الى مصر ، فترتجف اوثان مصر من وجهة ويذوب قلب مصر داخلها » اش ١٩ : ١ .

ثانيا : يوم ظلام وقتام ، يوم غيم وضباب ، مثل الفجر ممتدا على الجبال » ع ٢ .

ان كان يوم الرب بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين هو يوم عرس مبهج ومنير حيث يتقدم العريس شمس البر ليلتقى بعروسه التى تضىء كالقمر بنوره ، فانه بالنسبة للاشرار يوم ظلام وقتام ، يوم غيم وضباب اذا لا يقدرون على معاينة الرب فى مجده وبهائه ولا التمتع باسراره .

يتطلع يوئيل النبى الى فترات غزو الجراد ليرى الجو قد تحول الى ظلام دامس ، لا لعدم وجود الشمس وانما من اجل الجراد الذى غطى الجو كله فافقد الانسان بصيرته للنور ، فيتحول النهار فى عينيه الى ليل ، هذا المنظر وصفه سفر الخروج عند حدوث ضربة الجراد على ارض مصر : « فصعد الجراد على كل ارض مصر .. وغطى وجه كل الارض حتى اظلمت الارض » خر ١٠ : ١٤ ، ١٥ - خلال هذا المنظر راى يوئيل النبى ما سيحدث فى يهوذا بواسطة جيوش الاعداء ، فبسبب كثرة الجيش المقاتل والمركبات تتحول ارض يهوذا الى عاصف تراب يسبب قتاما وظلاما ، وبنفس الصورة يتحقق الامر بالنسبة للاشرار فى

يوم الرب العظيم حيث ياتى ليدين المسكونة فيكون لهم قتاما وظلاما بسبب ما حملوه فى داخلهم من قتام الخطية وظلمتها فتحجب عنهم معاينة بهائة .

ولعل الظلام والقتام يشيران الى ما يحل بالنفس من مرارة وضيق عند التاديب . فتسود عينى الانسان ونظرته الى الحياة !

اما قوله : « مثل الفجر ممتدا على الجبال » فيعنى تاكيد حدوثه . فهو ات لا محالة بالنسبة لجميع البشر . الجبال المقدسة والجبال النجسة . تفرح به جبال صهيون المقدسة . وترتعب امامه الجبال الحاملة لمذابح البعل !

ثالثا : يقدم لنا صورة مرة وقاسية عن الجيش المقاوم من جهة عدد المحاربين وقوتهم وفاعليتهم . اذا يصفه هكذا :

١ . شعب كثير وقوى لم يكن نظيره منذ الازل ولا يكون ايضا بعده الى دور فدور « ع

٢ . الله فى طول اناته ينتظر ويتانى .. لكنه يضطر من اجل محبته أن يؤدب . واذ لا يستجيب يبدو قاسيا فى تاديباته حتى اذ نسقط تحت التأديب نشعر انه فريد فى الامه ومرارته ! انها الابوة الحانية لاجل خلاص النفس العاصية المستميته فى خطاياها !

ب . لا يقف الامر عند كثرة العدد انما « كمنظر الخيل منظرة ومثل الافراس ، الفرسان يركضون كصريف المركبات على رءوس الجبال يثبون » ع ٤ ، ٥ . يرعب عيوننا بمنظره اذاننا بصوته . العيون التى استطابت للخطية مسترخية فى جهادها الروحى يرعبها التأديب الالهى فتراه كخيل عنيف ليس من يقدر أن يقاومه وكفرسان يركضون فلا وقت للرخاوة أو التباطؤ . صوته مرهب وعنيف للغاية كأصوات المركبات التى تبلغ الى رءوس الجبال ليس من يفلت منها !

جـ . من جهة عمل التاديب فهو يفضح عمل الخطية فينا . اذ تحول تحول جنتنا الداخلية الى قفر : « قدامه نار تاكل . وخلفه لهيب يحرق . الارض قدامه كجنة عدن وخلفه قفر خرب ولا تكون منه نجاة » ع ٣ . هذا الغزو النارى وان كان فى اعماقه تاديبا الهيا لكنه هو ثمر طبيعى لعمل الخطية النار المهلكة . من يمارسها يحتضن فيه نارا تهلكه . هذه النار لا يمكن أن يقوى عليها الا نار الروح القدس الذى يحول القفر الخرب الى فردوس مبهج . فبنار الروح القدس تباد نار الخطية . وبثمر الروح يرد للقلب حاله الاول ليصير جنة

الله المبهجة . فيتاجى المؤمن مخلصة ؛ قائلا : « ليات حبيبى الى جنته ويأكل ثمرة النفيس » نش ٤ : ٦ » .

ان كان هذا السفر هو سفر يوم الرب الرهيب للخطاة الذين تحول فردوسهم الى قفر . فهو فى نفس الوقت سفر انسكاب الروح على بنى البشر الذى يرد الينا طبيعتنا . فيجعلنا فردوسا لله عوض القفر الذى صرنا اليه . لهذا يقول القديس غريغوريوس اسقف نيصص للموعوظين قبيل عمادهم : « انكم خارج الفردوس ايها الموعوظون . انكم تشاركون ادم اباكم الاول فى نفيه . والان يفتح الباب وتعودون من حيث خرجتم ! ٢٠ » .

ان كان النبى يرى فى الخطية نارا لهيبا تلتهم القش (ع ٥) فالروح النارى يحول من هذا الرماد هيكلا ابديا مقدسا للرب . يقول القديس كيرلس الكبير « ينال « المعتمد » الروح القدس فيه ويحمل فعلا لقب هيكل الله ! ٢١ » .

د - من جهة الخطة فهى محكمة للغاية : « يصعدون السور كرجال الحرب . ويمشون كل واحد فى طريقه ولا يغيرون سبلهم . لا يزاحم بعضهم بعضا . يمشون كل واحد فى سبيله وبين الاسلحة يقعون ولا ينكسرون » ع ٧ ، ٨ . فقد شاهد النبى افواج الجراد وقد غطت الجو تماما . انطلقت الى الحقول فاكلت كل ما هو اخضر فيها . وتسربت الى البيوت خلال الكوى . ليس من يقدر ان يقاوم ! ومع هذا كله ادرك كأن لكل جرادة عملها الذى ارسلت من اجله . فلا تزاحم جرادة اختها ولا تتحرك الا بالقدر الذى سمح لها به الله للتاديب . ما حدث لم يكن مجرد كارثة طبيعية بلا هدف انما حملت هدفا دقيقا فى جملتها كما فى تفاصيلها . والامر بعينه يتكرر مع غزو الاعداء بلد يهوذا فما يحدث من تخريب لا يكون بلا هدف انما كل شىء محدد بدقة فائقة !

الله الذى سمح للعدو ان يهاجم شعبه لا يقف امامه السور حائلا . فان الخطة تتم ويدخل كل الى موقعه . وان سقط بين الاسلحة فلا ينكسر حتى يحقق الهدف .

هـ - لا يفلت احد من هذا التاديب . ما دام الكل قد اخطأ فان كان يهاجم الحقول المكشوفة فى القرى ليحولها الى قفر . فانه يتسلل كلصوص من الكوى الى البيوت فى المدن . يتخطى السور ولا يقف امامه حائط .. ليس من احد يقدر ان يهرب فان ثمر الخطية يتبعه اينما وجد ولو كان فى داخل مخدعة محاط بالاسوار المنيعة !

و . يحمل مرارة المر . ليس من يقدر ان يطيقه . « قدامه ترتعد الارض وترتجف السماء . الشمس والقمر يظلمان . والنجوم تحجز لمعانها . والرب يعطى صوته امام جيشه . ان عسكره كثير جدا . فان صانع قوله قوى . لان يوم الرب عظيم ومخوف جدا . فمن يطيقه ؟ ع ١٠ . ١١ .

هذه هى ذات العلاقات التى قدمها السيد المسيح نفسه عن مجيئه الاخير . هى علامات مرعبة للخطاة الاشرار .. يسمح الله للطبيعة ان تهتز امامهم وترتجف ليدركوا ماذا تفعل الخطية بالطبيعة فيستعد الخطاة بالتوبة لملاقاة الرب .

والعجيب ان الله يعتبر الجيش المقاوم لشعبه « جيشه » لانه هو الذى سمح له ان يقوم بالتاديب فصار عصاه التاديب ولكن الى حين .

وللاب

وللاباء مفاهيم روحية رمزية لارتعاد الارض وارتجاف السماء وظلمة الشمس والقمر وتساقط النجوم .. الامر الذى نعود اليه باكثر توسع فى دراستنا لانجيل متى (ص ٢٤ ان شاء الرب وعشنا مكتفيا هنا ببعض المقتطفات .

الان نهاية كل الحياة الزائلة . وكما يقول الرسول تزول هيئة هذا العالم الخارجى ليتبعه عالم جديد . وعوض الكواكب المنظورة يضيىء المسيح نفسه بكونه شمس الخليقة الجديدة وملكها . عظيمة هى قوة هذه الشمس الجديدة . وعظيم هو بهاؤ حتى ان الشمس التى تضىء الان والقمر والكواكب الاخرى تظلم امام هذا النور العظيم . يوسابيوس القيصرى (٢٢)

كما ان القمر والنجوم تتضاءل بسرعة امام الشمس المشرقة هكذا امام ظهور المسيح تظلم الشمس ولا يعطى القمر ضوءه وتتساقط النجوم من السماء فينزع عنها بهاؤها السابق لكى تلبس ثوب النور العظيم . القديس يوحنا الذهبى (٢٣ الفم

الارض المرتعدة هى الجسد الذى يضعف ويهزل امام الرجاسات التى يرتكبها الانسان لبهجة جسده وراحته . ففيما يظن انه يقدم الراحة لجسده اذا به يرعده دون ان يدرى . اما السماء فتشير الى النفس التى كان يجب ان تكون مركزا لملكوت الله وموضعا لسكناه .. تفقد النفس امانها وسلامها خلال الخطية فترتجف . وتبطل الانوار السماوية علامة فقدان البصيرة الروحية والدخول الى حالة تخبط روحى

هكذا يعلن التاديب الالهى ثمرة خطايانا . يفضحها فينا فلا نطيق يومه الرهيب - لقد سبق فقال أهل بيتشمس الذين سرقوا تابوت العهد : « من يقدر ان يقف أمام الرب الاله القدوس هذا ؟! والى من يصعد عنا ؟! » اصم ٦ : ٢٠ . كما يقول المرتل : « أنت مهوب أنت . فمن يقف قدامك حال غضبك ؟! من السماء أسمعت حكما ! الأرض فزعت وسكتت عند قيام الله للقضاء لتخليص كل ودعاء الأرض » مز ٧٦ : ٧ ـ ٩ .

٢ ـ الدعوة للتوبة

اذ كشف الله بتأديباته عن فاعلية الخطية فى النفس والجسد . فتح الله أبواب الرجاء لشعبه على مصراعيه حتى لا يسقط أحد تحت اليأس . اذ ينادى قائلا : « ارجعوا الى بكل قلوبكم بالصوم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم لانه رءوف رحيم . بطىء الغضب وكثير الرحمة ويندم على الشر لعله يرجع ويندم فيبقى وراءه بركة تقدمه وسكيبا للرب الهكم » ع ١٢ ـ ١٤ .

فى هذه الدعوة يعلن الاتى :

أ ـ التوبة فى جوهرها هى « رجوع الى الله » .. ليست مجرد ندامة على الخطية أو توقف عن الاثم انما فى ايجابيتها رجوع الى الاحضان الالهية فنعطى لله الوجه لا القفا .. لهذا يؤكد الله سماته الخاصة بعلاقته بنا أنه رءوف رحوم بطىء الغضب وكثير الرحمة

وكما يقول القديس كبريانوس : « انه يستطيع أن يصفح . مترفقا بالخاطىء الذى يعمل سائلا الرحمة (٢٤) » . لقد استخدم الله كل وسيلة ممكنة للتعبير عن محبته للانسان وترفقه به لكى يعود اليه فيجد فيه الأحضان الأبوية التى لاتغلق قط أمام الراجعين ! يقول القديس امبروسيوس : « ليته لايخف أحد من الهلاك . مهما كانت حالته . ومهما كان سقوطه . فسيمر عليه السامرى الصالح الذى للانجيل . ويجده نازلا من أورشليم الى أريحا . أى هاربا من الام الاستشهاد الى التمتع بملذات العالم مجروحا بواسطة اللصوص .. مطروحا بين حى وميت . هذا السامرى الصالح الذى هو رمز للسيد المسيح . الذى هو حارس للارواح . لن يتركك انما يتحنن عليك ويشفيك (٢٥) » .

ان كان الله هو الذى يسمح بالتأديب ـ الذى نراه شرا ـ فاننا اذ نرجع اليه

« يندم على الشر » . وكما يقول الاب ثيودور : « اعتاد الكتاب أن يستخدم بعض التعبيرات في غير معناها الاصلى . فيستخدم كلمة « الشرور » عن « الاحزان والضيقات » ليس لانها شر او طبيعتها شريرة . بل لان من تحل بهم هذه الامور لاجل صالحهم يعتبرونها شرا . فحينما يتحدث الحكم الالهى مع البشر يتكلم معهم حسب لغتهم ومشاعرهم البشرية (٢٥) » ..

ب . الرجوع بكل القلب . كثيرون يرجعون الى الله وقت الضيق لكن ليس بكل القلب . فاذا مارفع الضيق عادوا فورا الى شرهم الاول . وربما الى حال أشر . كما كان فرعون الذى دعا موسى وهرون وسألهما أن يصليا عنه وعن شعبه فيطلق الشعب ليذبح للرب (خر ٨ : ٨) لكن « لما رأى فرعون انه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لهما كما تكلم الرب » خر : ٨ : ١٥ ..

ليكن رجوعنا الى الله بكل القلب . يسندنا في ذلك الصوم والبكاء والنوح .. وكأن الجسد يشترك مع النفس في الرجوع الى الله معلنا ذلك بالصلاة والصوم والدموع ..

في هذا يقول القديس أمبروسيوس : « ليت هؤلاء الذين يتوبون يعرفون كيف يقدمون التوبة ، بأية غيرة . وبأى مشاعر . وكيف تبتلع كل تفكيره ، وتهز أحشاءه الداخلية ، وتخترق أعماق قلبه ، اذ يقول أرميا النبى : أنظر يارب فانى في ضيق . أحشائى غلت . ارتد قلبى في باطنى » مرا ١ : ٢ ..

ويقول : « شيوخ بنت صهيون يجلسون على الأرض ساكتين . يرفعون التراب على رؤوسهم . يتمنطقون بالمسوح . تحنى عذارى أورشليم رؤوسهن الى الأرض . كلت من الدموع عيناى . غلت أحشائى . انسكب على الأرض كبدى » مرا ٢ : ١٠ ، ١١ . هكذا أيضا أهل نينوى حزنوا فهربوا من هلاك مدينتهم (يونان ٣ : ٥) بالقوة مفعول هذا الدواء الذى للتوبة . حتى ليبدو كأنه يغير نية الله ! » . « أظهر جراحاتك للطبيب فيشفيك .. أزل آثار جروحك بالدموع ! فان هذا هو ماصنعته المرأة المذكورة في الانجيل . فأزالت بذلك نتانة خطاياها . لقد غسلت خطاياها بغسلها قدمى المخلص بدموعها (٢٦) » .

لاتقف التوبة عند المظهر الخارجى . انما . يلزم ان تمس القلب الداخلى . القلب كله .. « مزقوا قلوبكم لا ثيابكم » .. وكما يقول القديس كبريانوس : اسألكم أيها الاخوة الاعزاء أن يعترف كل واحد بخطاياه التى ارتكبها في هذا العالم .. لنرجع الى الرب بكل القلب . ونعبر عن توبتنا عن خطايانا بالحزن الحقيقى . متوسلين رحمة الله متوسلين رحمة الله لننحن نفوسنا قدامه . ليشفع حزننا أمامه . ليكن كل رجائنا فيه فقد أخبرنا كيف نسأله .. لنرجع الى الرب

بكل قلبنا ، ونطفىء غضبه وسخطه بالصوم والبكاء والحزن كما نصحنا هو بنفسه (٢٧ » .

حـ - في قوله « لعله يرجع ويندم » لايعنى عدم اليقين وانما علامة الوقوف أمام الله بتذلل وانسحاق مترجين رحمته ، فالله يطلب في توبتنا الاتضاع اذ « ذبائح الله هى روح منكسرة ، القلب المنكسر والمنسحق يا الله لاتحتقره » مز ٥١ : ١٧

انه يندم لابمعنى تغير فكر الله وانما بمعنى بالحب ، كالأب الذى يؤدب ابنه بحزم متظاهرا بالقسوة لعل ابنه يعود اليه ، فيعود الى ابنه ، انه حتى في لحظات حزمه لايحتمل دموع الابن ، وعلامة ندمه أنه يترك وراء التأديب بركة لاغضبا ، فيقبل من ابنه التقدمة السكيب علامة رضاه عليه وقبوله ، فيبقى وراءه بركة تقدمه وسكيبا للرب الهكم « ع ١٤ .

د - التوبة تمارسها الجماعة كلها ، الشيوخ والأطفال والرضع والمتزوجون حديثا والكهنة خدام الرب ، ان كانت الخطية قد امتدت الى الجميع لذا يليق أن يشترك الكل معا ويسند البنيان بعضه البعض في حياة التوبة ..

يتحدث أرميا النبى عما فعلته الخطية بالرضع : « لصق لسان الراضع بحنكة من العطش ، الاطفال يسألون خبزا وليس من يكسره لهم » مرا ٤ : ٤ .. وفي رحمة الله بنينوى كان للاطفال اعتبارهم الخاص لديه ، اذ يقول : « أفلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لايعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة ؟! » يو ٤ : ١١

هـ - يشترك الكهنة مع الشعب في التوبة بكونهم خدام الرب بين الرواق والمذبح ، عملهم الرئيسى خدمة الرب خلال المذبح ، أى في المسيح الذبيح ، انهم يخدمون خلال الصلاة الدائمة والشفاعة عن الشعب ، قائلين : « اشفق يارب على شعبك ولاتسلم ميراثك للعار حتى تجعلهم الامم مثلا ، لماذا يقولون بين الشعوب اين الههم ؟! » ع ١٧

٢ ـ الله يرق لشعبه

« يغار الرب لارضه ويرق لشعبه » ع ١٨ .. ماسمح الله به لشعبه من الام انما لأجل غيرته على أرضه المقدسة ورقته نحو شعبهم المحبوب لديه جدا ، اذ فيما هو يؤدب يطلب من أولاده أن يتطلعوا اليه لاكديان منتقم بل هو أب محب يشتاق أن يفرح بهم ويسر بحبهم له ، أما علامات محبته الأبوية فهى :

أ - ان كانت النفس تدخل الى حالة جوع وعطش ومرض بسبب الخطية ، فان الله في محبته يقدم نفسه طعاما وشرابا ودواء روحيا لها ، قائلا : « هاأنذا مرسل

لكم قمحا ومسطارا وزيتا لتشبعوا منها ، ولا اجعلكم عارا بين الامم » ع ١٩ .. لاتعود تسأل الأمم ـ أى العالم ـ ليشبع عاطفتها أو يروى احاسيسها او يطيب جراحاتها بل تجد في عريسها كل الشبع .

يناجى القديس يوحنا سابا الله مصدر الشبع الحقيقى ، قائلا :

« طوبى للذى نسى حديث العالم بحديثه معك . لأن منك تكتمل كل حاجاته !

أنت هو أكله وشربه !

أنت هو بيته ومسكن راحته ، اليك يدخل في كل وقت ليستتر !

أنت هو شمسه ونهاره ، بنورك يرى الخفيات !

أنت هو الأب والده !

أنت أعطيت روح ابنك فيه ، والروح أعطاه دالة أن يطلب منك كل مالك ، مثلما يطلب الابن من أبيه ! معك حديثه في كل حين ، لانه لايعلم له أبا غيرك ! (٢٧) » ..

ب ـ اذ حقق الله برجوع شعبه اليه ، فان يدين الشعب (الجيش الذى استخدمه كاداة تاديب .. لماذا ؟ لأنه سقط في كبرياء كقول النبى : « فيكون متى أكمل السيد كل عمل بجبل صهيون وبأورشليم انى أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه » اش ١٠ : ١٢ . فقد تصلف العدو وظن في نفسه أنه قدير ولم يدرك ان الله كان يستخدمه لتأديب شعبه . لهذا يذله الرب على تصلفه : « والشمالى ابعده عنكم واطرده الى ارض ناشفة ومقفرة مقدمته الى البحر الشرقى ، البحر الميت شرقى اليهودية وساقته ، مؤخرته الى البحر الغربى ة الاقصى . فيصعد نتنه وتطلع زهمته ، رائحته الكريهة لانه قد تصلف في عمله » ع ٢٠ ..

هكذا اذ يسقط في العجرفة يشقه الرب ليحطم مقدمته في مياه البحر الاحمر ومؤخرته في اقصى البحر الغربى لكى لايجتمع معا مرة أخرى ، تفوح رائحة نتنة في كل موضع . هذا كله بسبب التصلف كقول اشعياء النبى : « لانه قال : يدى صنعت وبحكمتى لانى فهيم ، ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططت الملوك كبطل .. لذلك يرسل السيد سيد الجنود على سمانه هزالا ، ويوقد تحت مجده وقيدا كوقيد النار ، ويصير نور اسرائيل نارا وقدوسه لهيبا فيحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد ، ويفنى مجده وعره وبستانه النفس والجسد معا » اش ١٠ : ١٣ ـ ١٨

جـ ـ يغسل الرب جراحاتهم السابقة فيرد الغم الذى سيطر عليهم بسبب الخطيه الى بهجة وفرح ! ع ٢١

د ـ تقديس كل الطاقات والمواهب بالروح القدس . اذ يقول : « لاتخافي يابهائم الصحراء . فان مراعى البرية تنبت . لان الاشجار تحمل ثمرها . التينة والكرامة تعطيان قوتهما . ويابني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب الهكم لانه يعطى المطر المبكر على حقه وينزل عليكم مطرا مبكرا ومتاخرا في اول الوقت » ع ٢٢ . ٢٣ ..

ارتبط العصر المسياني في ذهن الانبياء بالمياه المقدسة (حز ٣٤ : ٢٦ . اش ٣٠ : ٢٣ . ار ٣١ : ٩ . زك ١٣ : ١ . ٢ . مز ٤٦ : ٤ الخ .. التى تعطى ارتواء وتحول القفر ارضا خصبة . ترى المؤمنين كاشجار فردوس الله . تنزع النجاسات وتطهر الارض من عبادة الاصنام . وتقدم حياة وتقديسا (٢٨ ..

ماهو هذا المطر المبكر والمتأخر الا ـ الروح القدس الذى يروى النفس الظمأ فتثبت البرية وتحمل الاشجار ثمارها وتعطى التينة والكرمة قوتهما ؟! انه الروح القدس الذى عمل في القديم كمطر مبكر . لكنه بالاكثر استقر فينا بعد صعود الرب ليحول بريتنا الداخلية الى فردوس مفرح !

يقول النبى : « لاتخافى يابهائم الحقل . فان المراعى تنبت ». فان كان الجسد قد صار بسبب الخطيه كبهائم الحقل بلامرعى . فان الروح القدس يقدس الجسد ويشبع كل طاقاته واحاسيسه فيما هو للبنيان . انه لايحطم بهائم الحقل ولايحقر من شانها بل يقدسها ويشبعها فيما هو للرب ! ولهذا يسأل بنى صهيون ان تبتهج وتفرح من اجل هذا المطر الساوى . وكان النبى يعلن خلال الظل ماقاله السيد لتلاميذه : « اقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لانه أن لم أنطلق لايأتيكم المعزى » يو ١٦ : ٧

هذا هو المطر الذى وعد السيد المسيح تلاميذه ان يرسله لهم من عند الاب علامة حبه لهم واهتمامه بهم . وكما جاء في الأمثال : « في نور وجه الملك حياة . ورضاه كسحاب المطر المتأخر » أم ١٦ : ١٥ . ويقول هوشع النبى : « خروجه يقين كالفجر . يأتى الينا كالمطر كمطر متاخر يسقى الأرض » هو ٦ : ٣ ويسألنا زكريا النبى ان نطلب هذا المطر المتأخر ليعمل في حياتنا : « اطلبوا من الرب المطر في اوان المطر المتأخر . فيصنع الرب بروقا ويعطيهم مطر الوبل . لكل انسان عشبا في الحقل » زك ١٠ : ١ . هذا هو عطية الله العظمى : « لنخف الرب الذى يعطى المطر المبكر والمتاخر في وقته . يحفظ لنا أسابيع الحصاد المفروضة » ار ٥ : ٢٤

قدم لنا السيد المسيح هذا المطر المتأخر في حينه لكى تشبع نفوسنا بالرب فتسبحه . وتدرك حلوله في وسطها . أى يهبها الشبع الروحى وحياة التسبيح

والشعور بالحضرة الالهيةلا . اذ يقول : « تاكلون اكلا وتشبعون ، وتسبحون اسم الرب الهكم الذى صنع معكم عجبا ولايخزى شعبى الى الابد . وتعلمون انى انا فى وسط اسرائيل وانى انا الرب الهكم وليس غيرى ولايخزى شعبى الى الابد » ع ٢٦ . ٢٧ .

ان كان الانسان قد خرج من الفردوس جائعا ، لايستطيع العالم كله أن يشبع قلبه أو أحاسيسه أو فكره .. فانه يبقى هكذا هائما على وجه الأرض في جوع شديد حتى يملاه الله بروحه القدوس المشبع !

هذا الشبع يولد تسبيحا ، فيصير الانسان كالرضيع الذى يفرح بأمه فتهتز كل مشاعره وتتجاوب كل أعضاء جسده مع فرحه ليخرج تسبحه حب حقيقى يعجز اللسان عن التعبير عنها فالتسبيح ليس مجرد كلمات تنشدها او نغمات نتعلمها ، لكنه في اعماقه حالة فرح حقيقى تهز كيان المؤمن كله ، جسديا وروحيا فينطلق اللسان بالتسبيح ويرقص القلب طربا بالرب وتهتز النفس كلها بنغمات سمائية ملائكية .

هذا التسبيح يرتبط بادراك المؤمن لسكنى الرب فيه .. فهو يسبح ويتهلل لا من أجل العطايا حتى وأن كانت روحية انما من أجل العاطى نفسه ، واهب العطايا!

هذه هى علامات محبة الله الأبوية لشعبه .. انه يشبع النفس ويرويها ويضمد جراحاتها ، ويرد لها مجدها فيه ، وينزع عنها عار الخطيه والاثم ، مقدما كل طاقاتها ومواهبها لحسابه ، معلنا سكناه فيها كسر شبعها وتسبيحها الروحى !

٤ ـ الاصلاح الجذرى بالروح القدس :

اذ يرق الله لشعبه ويغير على ميراثه لايبخل عليهم بشىء ، وانما يهبهم نفسه 0، انه يعطيهم روحه القدوس فيهم سر تغييرهم الداخلى الجذرى ، اذ يقول : « ويكون بعد هذا (أي في اخر الأزمنة أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلاما ، ويرى شبابكم رؤى ، وعلى العبيد ايضا وعلى الاماء اسكب روحى في تلك الايام » .

انها العطية العظمى التى قدمها الله للبشرية بعد أن هيأ لها بتقديم ذبيحه الفداء على الصليب . هذه العطية التى تمتعت بها الكنيسة في يوم الخمسين كما أعلن الرسول بطرس (أع ٢ : ١٤ ـ ٢١) . والتى قدمت لكل بشر يتقدم الى الله :

هى عطية الله للبنين والبنات أى بلا تمييز في الجنس من جانب . ومن جانب اخر أنها تعطى لقليلى الخبرة . فهى الهبة المجانية من قبل الله لكل من يقبل !

وهى عطية الله للشيوخ الذين ترهلت حياتهم وأحسوا بالضياع . فيحول شيخوختهم الروحية الى شباب متجدد في الرب مملؤ رجاء وفرحا .

وهى عطية الله للعبيد والاماء . تعطى للذين يدركون أنهم عبيد فيحررهم واهبا اياهم روح البنوة .

انها عطية الله لبنى البشر .. أى لجميع من يقبل !

أما عن عمل الروح القدس فينا فيكفى ان نذكر كلمات القديس باسيليوس الكبير : « بالروح القدس استعادة سكنانا في الفردوس ،

صعودنا الى ملكوت السموات ،

عودتنا الى البنوة الالهية ،

دالتنا لتسمية الله « أبانا » .

اشتراكنا في نعمة المسيح ،

تسميتنا أبناء نور ،

حقنا في المجد الابدى .

وبكلمة واحدة حصولنا على ملء البركة في هذا الدهر وفي الدهر الاتى » (٢٩) .

يعلق القديس امبروسيوس على العبارة « أسكب روحى » ، قائلا : « انه لم يقل « أسكب الروح » بل « روحى Of My Spirit » اذ لانستطيع أن نتقبل كمال الروح القدس بل نتقبل قدر ما يقسم سيدنا لنا من عنده حسب ارادته (في ٢ : ٦) (٣٠) . ولكن هذا لايعنى عدم سكنى الروح فينا ولا ان ننال جزءا اذ يحذرنا القديس اكليمندس الاسكندرى (٣١) من تجزئة الروح .. انما هو سر سكنى الروح القدس عاملا فينا حسبما يريد الله لبنيانا ، بطريقة الهية فائقة .

تصاحب هذه العطية : « عجائب في السماء والارض دما ونارا وأعمدة ودخان . تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل أن يجىء الرب العظيم » ع ٣٠ .... وكأن غاية هذه العطية العظمى هو الانطلاق بالكنيسة الى يوم

الرب العظيم لترى السماء والارض تزولان . نور العالم ينطفىء ليبقى ماهو الهى ! بهذا يلتهب قلبها نحو الاتحاد بالله وحده الابدى !

أخيرا يختم نبوته عن الروح القدس باعلان قبوله جميع القادمين اليه من كل الامم . اذ يقول : « ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو » ع ٣٢ . يفتح الله ذراعيه لكل من يدعوه سواء كان يهوديا أو اميا . وكما يقول الرسول بولس : « لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى . لانه لا فرق بين اليهودى واليونانى . لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به . لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » رو ١٠ : ١١ ـ ١٣ . وكما يقول القديس بطرس : « لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب الهنا » أع ٢ : ٣٩ .

يقول القديس اغسطينوس : « كان اسم الرب صانع السماء والأرض يدعى قبلا بين الاسرائيليين وحدهم . أما بقية الأمم فكانوا يدعون الاوثان الخرس الصم التى لاتسمع . أو يدعون الشياطين التى تسمع ماهو لأذيتهم .. ! ٢٢ » أما الان فقد صار الامم يدعون اسم الله الحى بالروح القدس .

ينطلق بنا النبى من الحديث عن التأديبات الالهية الى يوم الرب العظيم الذى فيه يتمجد الله بكسر كبرياء الامم وتكريم أولاده الذين تجاوبوا مع التأديب الابوى مقدما لهم هبات أبدية .

١ ـ محاكمة الاشرار في وادى يهو شفاط ١ ـ ٨ .
٢ ـ الرب ملجأ لشعبه ٩ ـ ١٧ .
٣ ـ عطايا الله الابدية ١٨ ـ ٢١ .

●●●

١ ـ محاكمة الاشرار في وادى يهو شفاط

لكى تكون التوبة فعالة في حياة الكنيسة . وفي حياة كل عضو فيها . يلزمنا التطلع الى يوم الرب أنه قريب . فيه نرى التأديبات الحاضرة وان كانت مرة ومحزنة لكنها نافعة للبنيان . نرى ظهور الرب لخلاصنا الابدى ومعاقبة الأشرار . يرى الساقطون تحت التأديب ان مجدهم قادم سريعا وخزى ابليس يتحقق فعلا . يقول النبى : « لانه هوذا في تلك الايام وفي ذلك الوقت عندما أرد سبى يهوذا واورشليم اجمع كل الامم وانزلهم الى وادى يهو شفاط واحاكمهم هناك على شعبى وميراثى اسرائيل الذين بددوهم بين الامم وقسموا ارضى والقوا قرعة على شعبى واعطوا الصبى بزانية وباعوا البنت بخمر ليشربوا » يؤ ٣ ١ ـ ٣ .

تتم المحاكمة في وادى يهو شفاط الذى يعنى في العبرية وادى يهوه يقضى أو يدان . أى وادى الدينونة .. هذا الوادى غير معروف تماما . غير أن رجال القرن الرابع رأوا انه وادى قدرون شرقى اورشليم مقابل جبل الزيتون غربا . ويرى البعض انه وادى الجوز شمالى اورشليم أو وادى الربابة جنوبى المدينة .

لماذا اختار وادى يهو شفاط للدينونة ؟

أولا : اختير من أجل المعنى الرمزى فان يهوه نفسه هو الذى يقضى . الله هو

الديان . لانه فاحص القلوب والكلى .

ثانيا : انه وادى بجوار أورشليم يجتمع فيه الكل ليدين الله الاشرار حسب فعلهم . ويدخل بأولاده الى أورشليم العليا التى يحرم من رؤية مجدها الأشرار . لاتكون الدينونة في أورشليم اذ لا يدخلها شيء دنس أو رجس . بل هى مسكن الله مع الناس (القديسين) رؤ ٢١ : ٣ .

ثالثا : يذكرنا وادى يهو شفاط بما حدث مع جيوش الأمم المهاجمة ليهوذا (٢ أى ٢٠ . فقد حطمهم الرب في نفس الموضع الذى اجتمعوا فيه لمحاربة أولاده . وكأن المجرم قد تمت محاكمته في موضع جريمته . كان وعد الرب للملك يهو شفاط وشعبه الصارخ بتذلل وصوم : « لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير . لان الحرب ليست لكم بل لله .. قفوا اثبتوا . وأنظروا خلاص الرب معكم يا يهوذا واورشليم » (٢ أى ٢٠ : ١٥ . ١٧ . وبالفعل ضرب الأمم بعضهم بعضا . « ولما جاء يهوذا الى المرقب في البرية تطلعوا الى الجمهور . واذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم ينفلت أحد » ٢ أى ٢٠ : ٢٤ . حقا ان المقاومين لنا جمهور عظيم . وكما يقول الرسول بولس : « فان مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السمويات » اف ٦ : ١٢ . لكننا حملنا قوة ضد ابليس وجنوده . في قوة الصليب المحطمة شرهم .

« اذ جرد الرياسات والسلاطين اشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه » كو ٢ : ١٥ . هذا هو وادى يهو شفاط . حيث كان السيد المسيح خارج المحلة . خارج اورشليم يهلك العدو الشرير بصليبه ليردنا الى ملكوته الابدى ! انها محاكمة قد تحققت بالصليب وتبقى فاعليتها في حياة كل من اتحد بالمصلوب حتى ينتقى بالرب وجها لوجه في يومه العظيم . لهذا يحثنا الرسول بولس : « فلنخرج اذا اليه خارج المحلة حاملين عاره . لان ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » عب ١٣ : ١٤ . انها دعوة للخروج الى وادى يهو شفاط . خارج اورشليم . حاملين صليب الرب لنرى باعيننا هزيمة ابليس واعماله تتحقق كل يوم في حياتنا منطلقين نحو مدينتنا الباقية .

لننطلق الى وادى يهو شفاط لنرى الرب يقضى لنا ضد ابليس واغراءاته وتهديداته . فلنلمس ما سبق فاعلنه النبى : « لان للرب يوم انتقام . سنة جزاء . من أجل دعوى صهيون » اش ٣٤ : ٨ . « لان يوم النقمة في قلبى وسنة مفديى قد اتت » اش ٦٣ : ٤ . فيوم النقمة قد تحقق واتى فعلا بارتفاع الرب على الصليب مجتذبا اليه صهيون من وسط الجحيم ومحطما قوى الشر تحت قدميه . ويبقى

هذا اليوم ممتدا في حياتنا . مادامت ذبيحة الصليب لم تفسد ولا غلبها الجحيم . واذ تكمل خطة الله نحو جميع المختارين يترأى لنا الرب وجها لوجه ويظهر ابليس مقيدا في الهاوية .

في هذا الاصحاح ابرز الله يومه العظيم في جوانبه الثلاثة :

اولا : تمجيد اسم الله الذى أهانه الأمم بمهاجمتهم أولاده . اذ يقول : « فتعرفون انى انا الرب الهكم ساكنا فى صهيون جبل قدسى » ع ١٧ . وفي يوم الدينونة يتمجد الله الذى خلص أولاده من أسر ابليس معلنا سكناه الأبدى في وسطهم . اذ يقول القديس يوحنا : « سمعت صوتا عظيما من السماء . هوذا مسكن الله مع الناس . وهو يسكن معهم وهم يكونون له شعبا . والله نفسه يكون معهم الها لهم » رؤ ٢١ : ٣ .

ثانيا : اخضاع كبرياء الامم . وكما يقول باشعياء النبى : « هل تفتخر الفأس على القاطع بها ؟! أو يتكبر المنشار على مردده ؟! كأن القضيب يحرك رافعة . كأن العصا ترفع من ليس عودا » أش ١٠ : ١٥ . هكذا ظن الأمم الذين استخدمهم الله لتأديب شعبه أنهم أعظم من الذى سمح لهم بذلك فافتخروا على الله الحق وتشامخوا عليه . لهذا فبعدما يتحقق الهدف منهم يعود فيرد اليهم اعمالهم : « فانه قريب يوم الرب على كل الأمم . كما فعلت يك . عملك يرتد على رأسك عو ١٥ . لهذا دعى يوم الرب يوم حراب . « ولولوا لان يوم الرب قريب قادم كخراب من القادر على كل شىء » أش ١٣ : ٦ . ودعى يوم انتقام . « فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوى من دمهم » أر ٤٦ : ١٠ . « لأنادى بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لالهنا لاعزى كل النائحين » أش ٦١ : ٢ . « لان يوم النقمة في قلبى وسنة مفديى قد أتت اش ٦٣ : ٤ . كما دعى يوم سخط : « قبل ان يأتى عليكم حمو غضب الرب . قبل أن ياتى عليكم يوم سخط الرب » صف ٢ : ٢ .

ثالثا : كمال تحرير شعب الله الذى سقط في العبودية زمانا وصاروا تحت سخرية الامم . لهذا يقول « عندما أرد سبى يهوذا وأورشليم » ع ١ . فهو الذى يسمح لنا بالتأديب حتى بالعبودية اذ قبلناها بارادتنا يرسل لنا عونا ليحررنا . كما أرسل موسى لفرعون . قائلا : « قلت لك أطلق ابنى ليعبدنى » خر ٤ : ٢٣

تطلع الله فوجد أولاده وبناته يباعون بالزنا والسكر . فيبيعون الصبى بزانية . والبنت بكأس خمر للشرا باعوهم للياوانيين (اليونانيين) ع ٦ تجار النفوس (خر ٢٧ : ١٣ . حقا ما أصعب على قلب الله أن يرى ميراثه وخاصته

ونصيبه وكنزه يبدده العدو المستبد بأرخص الأثمان ! انه يغير على نفوس أولاده وبناته . الذين هم كنزه ذهبه وفضته ونفائسه الجيدة . لذا يقوم ليحررهم قائلا للعدو : « أرد عملكم لأنكم أخذتم فضتى وذهبى وأدخلتم نفائسى الجيدة الى هياكلكم وبعتم بنى يهوذا وبنى أورشليم لبنى الياوانيين لكى تبعدوهم عن تخومهم .. أبيع بينكم وبناتكم بيد بنى يهوذا ليبيعوهم للسبائيين لأمة بعيدة لان الرب قد تكلم » ع ٤ ـ ٨ .

ما هى هذه الفضة او الذهب أو النفائس الجيدة التى يدخلها العدو الى هياكله الا نفوس أولاد الله الثمينة التى يحسبها في عينيه كنزه الثمين . فقد اقتنصها العدو للعمل لحساب هيكل غريب معاد لله . هو هيكل محبة العالم والتمتع

ما هى هذه الفضة أو الذهب أو النفائس الجيدة التى يدخلها العدو الى هياكله . الا نفوس أولاد الله الثمينة التى يحسبها في عينيه كنزه الثمين . فقد اقتنصها العدو للعمل لحساب هيكل غريب معاد لله . هو هيكل محبة العالم والتمتع بملذات الجسد الدنسة !! لقد بيع أولاد الله للغرباء . فصاروا عبيدا لخطايا كثيرة كمن هم تحت سطوة فرعون ورجاله . لكن الرب في كل وقت يؤكد عمله الخلاصى بالصليب من أجل نفوس عبيده . قائلا : « أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النور وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الارض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنوتا وأمة مقدسة » خر ١٩ : ٤ ـ ٦ . كما قيل : « ان قسم الرب هو شعبه . يعقوب حبل نصيبه تث ٣٢ : ٩ . يعمل لحساب شعبه . نصيبه . ليحرره تماما فيجعل منه سماء جديدة وأرضا جديدة يسكنها البر (٢ بط ٣ : ١٠ ـ ١٣) . لا يقدر ان يسطو عليها العدو بعد .

ليتنا ندرك أيضا اننا قد تسلمنا من الله فضته التى هى كلمته الحية المصفاة سبع مرات (مز ١٢ : ٦) وذهبه أى السمة السماوية ووهبنا ثمار الروح التى هى النفائس الجيدة . فلا ندخل بهذه الى غير هيكل الرب . بل نسلك بأمانة فيما قد وهبنا فيما قد وهبنا لكى ننعم بالكثير بعدما تمتعنا هنا بلا توبة فحملوا نفائس الرب الجيدة الى هياكلهم الشريرة . ذلك كمن يستخدم سمات الحب التى وهبه الله اياها في سهوات الجسد . او كمن يستغل محبة الاخرين له بسبب تدينه او معرفته الروحية في غير طريق الرب !

أخيرا . ماذا يعنى الرب بقوله : « ابيع بنيكم وبناتكم بيد بنى يهوذا ليبيعوهم للسبائيين ؟ ربما قصد بذلك ما حدث في ايام الكابيين الذين غلبوا اعداءهم . او يقصد اداة القديسين للعالم تقول الرسول : « الستم تعلمون ان

القديسين سيدينون العالم ! ١ كو ٦ : ٢ . فحين يحرم الاشرار من المجد يدانون خلال القديسين الذين كسبوا الحرية الابدية خلال التوبة الصادقة في الرب .

٢ ـ الرب ملجأ لشعبه

بعد أن اعلن عن يوم الرب العظيم الذى فيه يتمجد الله بتحرير اولاده من سطوة الشر اعلن أن سر الغلبة لا في الانسان ذاته وانما في الله ملجأه .

بدأ اولا بالسخرية بالامم التى اتكلت على ذاتها وامكاناتها ليعلن ضعفها أمام الله الذى يسند أولاده واهبا اياهم الغلبة . ففى تهكم يقول : « نادوا بهذا بين الامم . قدسوا حربا . انهضوا الابطال . ليتقدم ويصعد كل رجال الحرب . اطبعوا سكاتكم سيوفا ومناجلكم رماحا . ليقل الضعيف بطل أنا » ع ٩ ، ١٠ .

هو يحارب انما يحطم نفسه . وكما قيل : « هيجوا أيها الشعوب وانكسروا .. تشاوروا مشورة فتبطل . تكلموا كلمة فلا تقوم . لأن الله معنا » اش ٨ : ٩ ، ١٠ . هنا أيضا يسألهم ان ارادوا فليقدموا حربا . أى يكرسوا كل طاقاتهم وامكانياتهم للحرب . وليأتوا بجميع أبطالهم دفعة واحدة . ليحولوا سكاتهم (اسنان المحراث الى سيوف ومناجلهم الى رماح .. أى ليكرسوا كل امكانياتهم فانهم هالكون لا محالة !

في تهكم يقول لهم : « ليقل الضعيف بطل أنا » ع ١٠ . فقد ظن الشيطان في نفسه بطلا زمانا هذا مقداره ولم يدرك أنه ضعيف للغاية الا عند دخوله المعركة مع الرب نفسه على الصليب .

ويرى كثير من الآباء في قول الرب « ليقل الضعيف بطل أنا » ، انها كلمات موجهة لكل مؤمن يدرك أنه ضعيف بذاته . يتشدد بالرب ملجأه قائلا « بطل أنا » وكما يقول الاب سيرينوس : « اسمع مايقوله الملك (الله نفسه مستصوبا الرجال الشجعان مستدعيا اياهم للحرب الروحية (ضد الخطية . قائلا (« ليقل الضعيف بطل أنا والمتألم مصارع أنا » . فلا يحارب في المعركة الربانية الا الضعفاء .. لانه حينما أنا ضعيف فحينئذ انا قوى » ٢ كو ١٢ : ٩ ، وايضا « لان قوتى في الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٩ (٢٣ .

ان كنا امام الشيطان ضعفاء لكننا بالرب اقوياء وابطال . وكما كتب القديس يوحنا الذهبى الفم لصديقه الراهب الساقط : « ان كان الشيطان لديه هذه القدرة ان يطرحك أرضا من العلو الشامخ والفضيلة السامية الى اقصى حدود الشر . فكم بالاكثر جدا يكون الله قادرا ان يرفعك الى الثقة السابقة . ولا يجعلك فقط كما كنت . بل أسعد من ذى قبل » . « الشيطان أسقطنا وطرحنا . أما نحن

فعلينا أن نقوم ولا نسقط مرة أخرى طارحين انفسنا لنضيف الى ضرباته لنا ضربات اخرى ١٠ ٢٤

اذن ليتنا لا نرتعب من ابليس حتى وان ظهر كجماهير كثيرة وقوية ، اذ هو ضعيف للغاية أمام الله الساكن فينا . اذ يقول النبى « جماهير جماهير فى وادى القضاء . لأن يوم الرب قريب فى وادى القضاء . الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحتجز لمعانها . والرب من صهيون يزمجر ومن اورشليم يعطى صوته فترتجف السماء والأرض . ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبنى اسرائيل » ع ١٤ ـ ١٦ .

ان كانت الامم قد صارت كالشمس في العالم او القمر أو حتى النجوم . فانها امام الله شمس البر تظلم ويختفى لمعانها الزائف .

يقوم الرب نفسه كاسد خارج من سبط يهوذا يحمى اولاده ويحصنهم فيه . صوته يرعد الخطية فترتجف امامه ولا تقطن في نفسك ا السماء ولا في جسدك الارض .

يحدثنا القديس مار افرام السريانى عن الله كملجأ لنا . قائلا . ليكن الله هو ملجأ لك .. ان كانت عنايته لاتتخلى عنك فلا يستطيع شيء أن يؤذيك . لاتخف من الاعداء الذين يهجمون عليك بعنف . فان الله يحفظ نفسك ويحول الامور الضارة الى امور نافعة ا ٣٥ .

اما علامة النصرة بالرب فهى أنه نحن نلتجىء اليه كحصن لنفوسنا ، اذا به يعلن ذاته فينا ولا يسمح لغريب أن يملك في اورشليم مقدسة ولا يجتاز فيها الاعاجم في مابعد » ع ١٧ .

٣ ـ عطايا الله الابدية

عليتنا بالرب معلنه بسكناه وحده فينا . يملك على القلب ولايسمح لاعجمى أن يجتاز في مملكته .. تصير الأرض وملؤها للرب ولمسحيه . هذه الحضرة الالهية تعلن عن ذاتها خلال فيض الثمر الذى يظهر فينا . وينابيع الروح التى تتفجر في داخلنا .

« ويكون فى ذلك اليوم ان الجبال تقطر عصيرا ا خمرا جديدا ، والتلال تفيض لبنا .

وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء .

ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقى وادى السنط ا شطيم ع ١٨ .

ما هى الجبال والتلال والينابيع وبيت الرب الا جوانب للكنيسة المنتصرة التى يسكنها الرب واهب الغلبة فيجعل من أولادها جبالا مقدسة للرب تفيض عصيرا يروى البالغين ، وتلالا حية تفيض لبنا للأطفال وينابيع لاتنضب يلجأ اليهم الكل وبيت للرب يفرح السماليين !!

لعله يشير أيضا الى العصير ، الخمر الجديد بكونه الروح القدس الذى يسكر النفس بحب الله ويملأها فرحا أبديا ، فالجبال تشير الى العاملين في كرم الرب الذين يعملون بالمسيح يسوع من أجل فيض الروح القدس في حياة الكنيسة كلها ، هذا الروح الالهى يتمتع به البالغون كخمر روحى مفرح ، ويقتات به الاطفال كلبن يسندهم ، وكمياه حية تروى كل نسمة تعطش اليه ، يقول السيد المسيح نفسه : « ان عطش أحد فليقبل الى ويشرب ، من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى » يو ٧ : ٣٧ : ٣٨ .

حديثه عن الينبوع الذى يخرج من بيت الرب ليسقى وادى السنط او وادى شطيم انما هو ينبوع المعمودية الذى راه حزقيال انبى خارجا من تحت عتبة بيت الرب نحو المشرق والمياه نازلة من تحت جانب البيت الايمن عن جنوب المذبح ، هذا الذى يروى أشجارا كثيرة جدا من هنا ومن هناك ، مياهه شافية تضم سمكا كثيرا جدا ، حز ٤٧ ، انه ينبوع المعمودية الذى يفيض على وادى السنط الذى هو واد جاف وغير مثمر لم يكن ينمو فيه سوى شجر السنط .. تحوله المعمودية الى واد مخصب به كل أنواع أنواع الشجر المثمر ! هذا هو النهر الذى فاض بفروعه الاربعة على الامم في كل جهات المسكونة ليقيم له فردوسه الحى عوض وادى السنط ، شطيم القفر ، ببدأ هذا الوادى شمال غربى أورشليم وينحدر الى شرق المدينة فاصلا اياها عن جبل الزيتون ، ثم يسير الى الجنوب الشرقى نحو البحر الميت ، ربما هو وادى النار حاليا

على اى الاحوال يختم يوئيل نبوته باعلان فيض عمل الله في كنيسته ليس فقط من الجانب الايجابى حيث تفيض عصيرا ولبنا ومياها حية ، وانما من الجانب السلبى يحطم فيها أعمال الانسان القديم الذى رمز اليه هنا بمصر ، محبة العالم التى تأسر الانسان كما استعبد فرعون شعب الله وأدوم ، حب سفك الدم والظلم .. انه يهيئها لذلك اليوم العظيم لتنضم معه في مجده الأبدى .

الفهرس

مقدمة ---------- ص ٥ .

الاصحاح الاول : غارات الجراد ---------- ص١٠ .

الاصحاح الثانى : غارات الاعداء ---------- ص ٢٤
خراب المدمر ، دعوة للتوبة ، الله يرق لشعبه ، الاصلاح الحذرى بالروح القدس .

الاصحاح الثالث : يوم الرب ---------- ص ٣٧
محاكمة الاشرار فى وادى يهو شفاط ، الرب ملجأ لشعبه ، عطايا الله الابدية .

1 The pulpit Commentary. Joel. 1962. p .VI.
2 International Critical comm. . Joel. 1974.
٣٣ ـ اكتفيت بأهم العناصر كما أضـفت اليها آراء الدارسين الآخرين .
4 The Pulpit comm.. P IX . X.
J. H. Raver : O. T. Introduction. P213 214.
٥ ـ راجع مقدمة سفر هوشع (تحت الطبع) الأصحاح الأول
6 Phila : Vita mos. 1:14 : 75.
7 On Ps. 39.
8 Contra Eunom. 4. PG 45 : 953
٩ ـ مقالتان عن الناموس الروحى ٩٤ .
10 Cassian : Conf. 9 : 6 .
11 Ladder 11 : 7
12 ST. Chrysostom : Op. Imperfectum hom 16 .
١٣ ـ راجع
14 Step 7 .
15 Step 7 : 9 . 40. 56.
16 Ibid 7 : 22 .
17 Ibin 7 : 31. 45
18 Ibid 14 : 19. 20. 22.
19 Mystical Treatises. St IsaaC the Syrian. vol 1. P 179.
20 PG 46 : 416 C.
21 In Joan S : 2.
22 Catena of Creek Frs. (Luke 21)
23 Excerpta in Secund Adv.
24 Treat. 3 : 36.
٢٤ ـ ترفقوا بالخطاة : للقديس أمبروسيوس ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

25 Cassian : conf. 6 : 6 .

٢٦ ـ ترفقوا بالخطاة ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ .

٢٧ ـ للمؤلف : الحب الالهى ، ص ٥١ .

27 Treat. 3 : 29.

٢٨ ـ للمؤلف : الروح القدس بين الميلاد الجديد ... ص ٤٩ .

29 De spir. Sanc. 15 : 35.

30 OF. The Holy Spirit 8 : 92.

31 Strom. 5 : 13.

32 Ser. on N. T. 6 : 1

الأصحاح الثالث

33 Cassian : Comf. 7 : 5 .

٣٤ ـ ساقط يائس ، ١٩٦٤ ، ص ٧ ، ٣٨ .

٣٥ ـ ارشادات ونصائح للقديس مارافرام السريانى ، ١٩ .

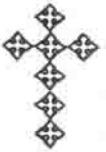

صدر عن هذه السلسلة

١ ـ سفر الخروج .
٢ ـ سفر العدد .
٣ ـ حزقيال .
٤ ـ نشيد الأناشيد .
٥ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتى .
٦ ـ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تسالونيكى .
٧ ـ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تسالونيكى .
٨ ـ رسالة بولس الرسول إلى فليمون .
٩ ـ رسالة يعقوب .
١٠ ـ رسالة بطرس الرسول الأولى .
١١ ـ رسالة بطرس الرسول الثانية .
١٢ ـ رسالة يهوذا .
١٣ ـ رسائل يوحنا .

الثمن ٣٨ قرشاً
« أقل من التكلفة »